



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية اللغات

**ترجمة الصفحات من (٥-٥٥) من رواية (أومرتا)**

لمؤلفها: ماريو بوزو

**A Translation of Pages from (٥-٥٥) of the  
Novel Entitled (Omerta)**

By: Mario Puzo

**بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الترجمة  
العامة**

إشراف الدكتور  
محمد الأمين الشنقيطي

إعداد الدارسة  
ولاء كمال الدين عثمان محمد أحمد

٢٠١٧م

## الإهداء

إلى كل من شجعني على إتمام هذا العمل  
إيهم جميعاً هدي ثمرة هذا الإنجاز ..

---

## الشكر و العرفان

الشكر لله سبحانه و تعالى الذي وفقني لإكمال هذا البحث. و الصلاة و السلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين و على آله و صحبه أجمعين.

أتقدم بجزيل الشكر و عظيم التقدير لكل من أعانني بوقته و جهده و توجيهه و دعواته لإنجاز هذا العمل. و أخص بالشكر د/ محمد الأمين الشنقيطي الذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على بحثي هذا و حرصه على إكماله و تزويدي بنصائحه.

و الشكر موصول لصرح العلم العظيم جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا – قسم اللغات.

" الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات "

# الفصل الأول

١٩٩٠

عندما انسحب التوئم ستورزو فرانكي و ستيس إلى طريق هسكويث رأوا أربعة  
مراهقين طوال القامة يلعبون كرة السلة في فناء منزل صغير.

خرج هسكو لمقابلتهم ولقد كان رجلاً أشبه بحبة كمثري وذو شعر رقيق غطي الجزء  
المكتشف من جمجمته و ذو عينين زرقاوين ومتلألئتين. و قال: أنه توقيت عظيم ،  
هنالك شخص ما أريدك أن تقابله.

تم إيقاف لعبة كرة السلة وقال هسكو بفخر: هذا هو إبنني جوكو الأول قامه بين  
المراهقين ممسكاً فرانكي بيده الضخمة.

قال فرانكي: مهلاً، ماذا عن منحنا فرصة مباراة صغيرة؟

نظر جوكو إلي الزائرين وكان طول كم منهما حوالي ستة أقدام و يبدوان في حالة  
جيدة وكان كلاهما يرتدي قميصاً من نوع لورين بولو إحداهما أحمر اللون والآخر  
أخضر مع بنطال (كاكي) و أنتعلا أحذية مطاطية وكانا ذوي مظهر لطيف  
وميزاتهم الصخرية تجعلهم أكثر ثقة وجمالاً وكان واضحاً أنهما أخوة ولكن جوكو لم  
يكن يعرف أنهما توئم فقد حسب أنهما في أوائل الأربعينات من عمرهم.

قال هسكو بطبيعته صبيانيه جيده: بالتأكيد. و أبتسم ستيس إبتسامة عريضة. عظيم!  
لقد قطعنا مسافة ثلاثة آلاف ميل وعلينا أن نبطئ قليلاً.

أوماً جوكو لأصحابه قائلاً: سوف آخذ كل من طوله يزيد علي الستة أقدام إلي  
فريقي ضد ثلاثتكم. وبما أنه أفضل لاعب فإنه يعتقد إن هذا من شأنه أن يعطي  
أصدقاء والده فرصة.

قال جون هسكو للأطفال: ضعوا في الإعتبار أن من السهل التغلب عليهم وأنهم  
مجرد رفاق كبار وتائهون. وقد كان ذلك في ظهيرة ديسمبر حيث كان الهواء بارداً  
بما فيه الكفاية لتحفيز الدم وكانت جزيرة لونج الباردة ذات أشعة الشمس الصفراء  
الباهتة وتلألؤ أسطح الزجاج والجدران وحطائر زهور هسكو كواجهة لعمله الخفي.

وكان رفاق جوكو الصغار ناضجين حيث تنافسوا لإستضافة الرجال الأكبر سناً  
ولكن إنطلق فرانكي وستيس محدثين ضجيجاً لإبعادهم من محاولة رمي الكرة بينما  
وقف جوكو مندهشاً لسرعتهم وبعد ذلك رفضوا إطلاق النار وتمرير الكرة له ولم  
يأخذوا أي تسديدة خارجية ويبدو ذلك مؤشراً للشرف وأن لهم حرية التغيير لرمية  
كرة سهلة.

بدأ الفريق المنافس بإستخدام طولهم لتمرير الكرة حول الرجال الكبار ولكن من المدهش حقاً وصول العديد من الكرات المرتدة وفي النهاية فقد أحد الصبية أعصابه حينها قام فرانكي بدفع الصبي بيده علي وجهه وفجأة سقط الصبي أرضاً وكان جوكو يراقب كل شئ ولم يعرف كيف حدث ذلك بالضبط ولكن بعد ذلك ضرب ستيس شقيقه بالكرة على رأسه ثم قال له: هيا، أَلعب فأنت رئيس مقرف. وساعد فرانكي الصبي للوقوف على قدميه وربت على مؤخرته وقال: مهلاً، أنا آسف. وإستمروا في اللعب لمدة خمس دقائق أخرى.

ولكن بعد ذلك بدا الإرهاق على الرجال الكبار و ركض الصبيان مشكلين دوائر حولهم و في النهاية توقفوا.

قام هسكو بإحضار بعضاً من المشروبات الغازية في الملعب و تجمع المراهقون حول فرانكي الذي يتمتع بكارزما عالية فقد أظهر مهارات المحترفين على الملعب. عانق فرانكي الصبي المغلوب مظهراً علامة النصر العالمية مع إبتسامة عريضة.

قال فرانكي: أيها الفتية أسمحوا لي أن أقدم لكم بعض النصائح من رجل كبير؛ لا تدفع الكرة عندما يمكنك تمريرها و لا تستسلم ابدأً عندما تخسر عشرين نقطة في الربع الأخير و لا تخرج مع تلك الأمراة التي تمتلك أكثر من قط واحد.

صافح فرانكي و ستيس الصبية و شكروهم على المباراة ثم تبعوا هسكو إلى داخل المنزل الجميل و المزخرف باللون الأخضر.

صاح لهم جوكو قائلاً: مهلاً يا رفاق أنتم طيبون.

قاد جون هسكو الأخوين إلى الطابق العلوي في المنزل حيث توجد غرفتهما التي كان لها باب ثقيل جداً و قفل محكم وقد لاحظ الأخوان عندما ودعهم هسكو قام بإغلاق الباب بعد دخولهم.

كانت الغرفة كبيرة،حقاً جناح فهي ملحقة بحمام و يوجد بها سريرانمنفصلان. فقد عرف هسكو أن الأخوان يريدان أن يناما في غرفة واحدة و كان في زاوية الغرفة حقيبة ضخمة مربوطة بطوق صلب وقفل معدني ثقيل حيث إستخدم هسكو المفتاح لفتح الحقيبة ثم طرح الغطاء مفتوحاً و كشفت لتعرض أنها مجموعة من المسدسات والأسلحة الأتوماتيكية و صناديق ذخائر في مجموعة من الأشكال الهندسية.

سأل هسكو: أيكفي ذلك؟

قال فرانكي: لا توجد كواتم صوت.

لا تحتاج إلى كواتم صوت لهذه المهمة.

قال ستيس: جيد، فأنا أكره كواتم الصوت لأنه لا يمكنني ابداً أصابة شيء بكاتم الصوت.

قال هسكو: حسناً، يا رفاق إستحموا و خذوا قسطاً من الراحة و انا سأتخلص من الصبية و أعد لكم العشاء. ما رأيك في طفلي؟

أجاب فرانكي قائلاً: أنه صبي لطيف جداً.

قال فرانكي بمزيد من الفخر الذي جعله يبدا أكثر مثل الكومثرى الناضجة: كيف ترى الطريقة التي يلعب بها كرة السلة؟

قال فرانكي: منقطعة النظر.

سأل هسكو ستيس: ما رأيك ستيس؟

قال ستيس: رائع جداً.

قال هسكو: لديه منحة دراسية لفيلانوف فالدوري الأمريكي للمحترفين أمامه.

عندما نزل التوائم إلى غرفة المعيشة بعد وقت قصير وكان هسكو ينتظرهما حيث أعد سوتية لحم العجل مع الفطر و الكثير من السلطة الخضراء وكان هنالك نبيذ أحمر اللون على الطاولة.

جلس ثلاثتهم فقد كانوا أصدقاء قدامى يعرف كل منهم تاريخ الآخر، فقد طلق هسكو زوجته منذ ثلاثة عشر عاماً و عاشت زوجته السابقة مع جوكو على بعد بضعة أميال في غرب بابل لكن جوكو قضى الكثير من الوقت هنا فقد كان والده شغوفاً ومستقراً.

قال هسكو: كان من المفترض أن تصل صباح الغد و لو كنت اعلم أنك سوف تأتي اليوم لقمتم بوضع الصبي خارجاً و في الوقت الذي اتصلت فيه لم اتمكن من التخلص منه هو و أصدقائه.

قال فرانكي: حسناً، ما هذا بحق الجحيم فقد كنتم جيدين هنالك مع الأطفال!.

قال هسكو: كنت أتساءل إن كان بإمكانك جعل ذلك إيجابياً؟

اثناء ذلك قال ستيس: نحن قصيرين جداً فطولنا ستة أقدام فقط و الباذنجان كبيرة جداً بالنسبة لنا.

قال هسكو و هو مرعوب: لا تقل أشياء من هذا القبيل أمام الأطفال عندما تلعب معهم.

قال ستيس: لا لن أفعل ذلك.

أسترخى هسكو و أرتشف الخمر فقد كان يحب العمل مع الأخوه ستورزو لانهما ودودان و لم يتطبعا بالطباع السيئة كمعظم الحثالة اللذين أطر للتعامل معهم كما كان لديهم بعض الطباع الموجودة في محيطهما و التي إنعكست على طبيعة التعامل بينهم و كانا يتمتعان بالثقة في النفس مما اكسبهما تميز رائع.

اكل ثلاثتهم ببطئ و اثناء ذلك قام هسكو بملئ اطباقهم مرة اخرى من المقلاة.

قال فرانكي لهسكو: كنت دائماً ما اريد أن أسالك لماذا قمت بتغيير أسمك؟

قال هسكو: كان هذا قبل زمن طويل و كنت حينها لا أستحي من كوني إيطالي الجنسية و لكن كما تعلم انني أبدو المائياً سخيفاً جداً خاصة مع هذا الشعر الأشقر و العينين الزرقاوين و هذا الأنف حقاً ابدو مريب المظهر و كذلك أسمى الإيطالي.

ضحك التوائم ضحكة من السهل فهمها فلقد كانا يعرفان إنه ملئ بالقرف ولكن لم يهتما بذلك.

قام هسكو بتزويدهما بمزيد من الاسبرسو و طبق المعجنات الايطالية بعد إنهاتهما طبق السلطة وبعد ذلك قدم لهما السجائر و لكنهما رفضا و تمسكا بسجائرهما المارلوبور الذي يتناسب مع وجوههم الغريبة و المجعدة.

قال ستيس: حان الوقت لننطلق إلى العمل لأنالمسافة طويلة جداً ولكن لماذا كان علينا أن نقود لمسافة ثلاثة الف ميل سخيفة؟ و بإمكاننا السفر جواً.

قال فرانكي: لم تكن رحلة سيئة للغاية بل استمتعت بذلك و كما اننا رأينا أمريكا في أرض الواقع و قضينا وقتاً ممتعاً قد كان سكان المدن الصغيرة نبلاء.

قال هسكو: لم أرد ترك أي دليل في المطارات لأنه أول مكان سيتحققون منه و سوف تكون درجة الحرارة مرتفعة. و أنتما يا رفاق ألا تستطيعان تحمل الحرارة؟

قال ستيس: هي كحليب الأم بالنسبة لي. و الآن من هو الشخص الملعون؟

دون رايموند أبريل، و تقريباً أختنق هسكو لقوله ذلك.



حل الصمت لوقت طويل و هنا تأكد لهسكو خوفه و أن خبر وفاة التوائم يمكن أن تشيع.

قال فرانكي بهدوء: جعلتنا نقود لثلاثة الاف ميل لنقوم بهذا العمل؟

ابنسم ستيس لهسكو و قال: جون لقد كان من الجميل التعرف عليك و الآن ادفع لنا أجرة القتل فقط و نحن سوف نتحرك. ضحك التوائم على هذه النكتة الصغيرة و لكن هسكو لم تنطلي عليه النكتة.

كان أحد أصدقاء فرانكي يعمل كاتباً مستقلاً في لوس أنجلوس و قد أوضح ذات مرة للتوئم إنه على الرغم من أن المجلة قد تدفع نفقة القيام بعمل مقال و لكن ليس من الضروري شرائها و لكنهم سيدفعون نسبة صغيرة فقط من المتفق عليها رسوم لقتل الشخص المقصود. و قد اعتاد التوئم على هذه العادة. و لقد اتهموا لأستماعهم للمقترح فقط. في هذه الحالة و بسبب الوقت الذي يستغرقه السفر و إن كلاً منهما متورطو كان أجر القتل حينها عشرين الف.

و لكن وظيفة هسكو هي أقتاعهم بقبول المهمة.

قال هسكو: لقد تقاعد الدون لمدة ثلاثة أعوام و كل علاقته القديمة في السجن و لا يمتلك أي سلطة بعد الآن فالوحيد الذي بإمكانه إثارة المشاكل هو تيمونه بورتيلو لكن لا يمكنه ذلك. تبلغ قيمة مكافئتك الخاصة مليون دولار النصف الأول بعد تنفيذك للمهمة و النصف الآخر خلال العام و لكن في ذلك العام عليك أن تختفي، و الآن لقد أتضح كل شيء و كل ما عليكم يا رفاق يجب أن تكونا قناصين الآن.

قال ستيس: مليون دولار! إنه مبلغ كبير.

قال هسكو: موكلي يعرف أن قتل دون أبريل يعتبر خطوة مهمة و نحتاج أفضل مساعدة مثل الشركاء ذوي العقول الناضجة و القدرة على حفظ الأسرار و ببساطة يا رفاق أنتم الأفضل.

قال فرانكي: لن يكون هنالك الكثير من الرجال اللذين يمكنهم المجازفة.

قال ستيس: يتوجب عليك وضع ذلك في الاعتبار لبقية حياتك أنه سيأتي شخص ما بعدك بالإضافة إلى رجال الشرطة و الأجهزة الفيديالية.

قال هسكو: أقسم لك إن شرطة نيويورك لا تريد أن يغادر الجميع و لن يستحوذ مكتب التحقيقات الفيديالي على أي مؤشر.

سأل هسكو: و أصدقاء دون القدامى؟

توقف هسكو للحظة ثم قال: ليس للموت أصدقاء فعندما تقاعد دون قام بقطع كل علاقاته لذا لا شيء يدعو للقلق.

قال فرانكي لستيس: أليس من المضحك دائماً أن في جميع صفقاتنا يقولون لنا ليس هنالك ما يدعو للقلق عليه؟

ضحك ستيس لأنهما لم يكونا قناصين و قال: جون أنت صديق قديم و نحننثق بك.

لكن ماذا لو كنت مخطئاً؟ فكل شخص يمكن أن يكون مخطئاً و ماذا أن كان لا يزال لدى دون أصدقاء قدامى؟ فأنت تعرف كيف يتعامل من دون رحمة لذا يجب أن نركز اعيننا عليه لأنه لن يطانا الموت فقط بل سنقضي ساعتين في الجحيم بالإضافة إلى أن عائلتنا سوف تكون عرضة للخطرفي ظل حكم دون مما يعني أن إبنك لن يلعب لصالح مبادرة حوض النيل لأنه سوف يكون في قبره.

إنحني هسكو نحوهم و كان لون بشرته الفاتحة ذات اللون الأحمر القرمزي كأنه إحمرار و قال: ليس بمقدوري وصف ذلك لكم فأنتم تعرفون ذلك و أنا مجرد وسيط و لقد فكرت في ذلك القرف فهل كنت تعتقد أنني سخيّف غبي؟ من ذا الذي لا يعرف من هو دون؟ ولكنه عديم الحيلة و لدي تأكيدات على ذلك من الجهات العليا كما أن الشرطة لن تنطلق بالأقترحات فقط كما لا يستطيع مكتب التحقيقات الفيدرالي إجراء تحقيق و لا يريد كبار رؤساء المافيا أي تدخل و ذلك مضمون.

قال فرانكي: لم احلم ابداً أن دون سيكون أحد أهدافي وطلب العمل على قتله نسبة لغروره و أنه رجل لعين و يمتلك مكانة في عالمه.

قال ستيس محذراً: فرانكي إنها ليس لعبة كرة سلة إن خسرنا لن نتصافح و نخرج من الملعب.

قال فرانكي: يا ستيس أنه مبلغ مليون دولار و لن يوصلنا جون بالخطأ لذا دعنا نذهب معه. حينها شعر ستيس بحماسهم الشديد بحق الجحيم فهو و فرانكي بإمكانهم الأعتناء بأنفسهم و لكن بعد كل شيء كان هنالك مبلغ مليون دولار و إن كان الحق يقال فإن ستيس أكثر جشعاً من فرانكي و تسيطر عليه أعماله التجارية و تدفع له المليون دولار.

قال ستيس: حسناً، نحن مشتركون ولكن إن مخطيء فاليرحم الله أرواحنا. فلقد كان ستيس أحد شمامسة الكنيسة.

سأل فرانكي قائلاً: ماذا لو كان الدون مراقب من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي؟ وهل لدينا ما يدعو للقلق عليه؟

قال هسكو: لا، فعندما ذج كل أصدقائه القدامى في السجن تقاعد الدون كرجل محترم و لقد أعرب مكتب التحقيقات الفدرالي عن تقديره لذلك و تركوه لحاله و أنا أضمن ذلك و الآن اسمحوا لي بطرحه خارجاً.

و قد إستغرق نصف ساعة لشرح الخطة بالتفصيل.

و أخيراً قال ستيس: متى؟

قال هسكو: صباح الأحد و أنت أبقى هنا ليومين و بعد ذلك سوف تسافر على متن طائرة خاصة للخروج من نيويورك.

قال ستيس: يجب أن يكون لدينا سائق ماهر.

قال هسكو: رائع! أنا من سيتولى القيادة؛ ثمأضاف معترناً: إن يوم الدفع مهماً جداً.

و في بقية عطلة نهاية الأسبوع بقى هسكو مع الأخوة ستورزو و يعتني بطفله كما يقوم بإعداد الطعام لهم و إنجاز مهامهم فلقد كان رجليصعب التأثير عليه و لكن الأخوة ستورزو يمدان قلبه بالأحباط و كانا مثل الأفاعي تتغير رؤسهم بشكل مستمر و مع ذلك كانوا متجانسين روحاً و طبعاً حتى إنهما ساعداهعلى رعاية الزهور في حظائره.

لعب الأخوة كرة السلة واحد على واحد فقط قبل العشاء حيث شاهدتهم هسكو و كان مبهوراً بكيفية تمايل أجسادهم حول بعضهما البعض كالثعابين و لقد كان فرانكي الأسرع بينهم و رامي و هدف مهلك و لم يكن ستيس ماهراً و لكنه أكثر ذكاء. حينها فكر هسكو أن بإمكان فرانكي اللعب لصالح الدوري الأمريكي للمحترفين.

و لكن لم تكن هذه لعبة كرة سلة و عند وقت الأزمة الحقيقية يجب أن يكون ستيس القناص الأساسي.

# الفصل الثاني

خلال التسعينيات قام مكتب التحقيقات الفدرالي بعمل مdahمات كبيرة على عائلات المافيا في مدينة نيويورك و التي لم ينج منها سوى شخصين فقط و هما دون رايموند أبريل الأعظم و الأكثر رهبة من المتبقين حيث لم يتمكنوا من الأقتراب منه. و الآخر هو دون تيمونه بورتلا الذي كان يمتلك نفس القدر من السلطة و لكنه أقل منزلة بكثير من أبريل و على ما يبدو أنه نجا لحظه العاثر.

و لكن المستقبل كان واضحاً و مع قوانين ريكو لعام ١٩٧٠م التي إتسمت بغير الديمقراطية و حماسة فرق خاصة بالتحقيق في مكتب التحقيقات الفدرالي و ضياع الأعتقاد بمبدأ قاعدة الصمت بين جنود المافيا الأمريكية و عرف دون رايموند أن الوقت قد حان بالنسبة له ليتقاعد بأمان من هذه المرحلة.

أدار الدون عائلته لمدة ثلاثين عاماً، و كان يعرف بالأسطورة و لقد ترعرع في صقلية و لم تكن لديه أي افكار خاطئة أو أي نوع من التبخر و العجرفة التي يولد بها رؤساء المافيا الأمريكية. و في الحقيقة أنه رجع إلى صقلية القديمة في القرن التاسع عشر حيث حكمت المدن و القرى بقوة شخصياتهم و بشعورهم بالشرف و أحكامهم المهلكة علي أي عدو يشتبه به. و لقد أثبت أن لديه إستراتيجية عبقرية من هؤلاء الأبطال القدامى.

و في عمر يناهز الأثنين و ستين عاماً كان يعيش في حياة منظمة حيث تخلص من أعدائه و أنجز واجباته كصديق و أب و بإمكانه أن يتمتع بشيخوخته بضمير مرتاح و لقد إعتزل عن تنافر عالمه و إنتقل إلى دوراً أكثر ملائمة و هو دور رجل مصرفي شهيم و ركيزة للمجتمع.

إلتحق أبناؤه الثلاثة بأمان في مهن ناجحة و مشرفة فقد كان ابنه البكر فاليريوس الذي يبلغ من العمر سبعة و ثلاثون عاماً متزوج و لديه أطفال و كان يعمل عقيداً في جيش الولايات المتحدة و محاضراً في ويست بوينت حيث تم تحديد مهنته بناءً على جبنه كما لو كان طفل و لقد تحصل الدون على تعيين متدرب في ويست بوينت لتصحيح هذا الخلل في شخصيته.

عندما كان ابنه الثاني ماركنينو في أوائل الخمسو الثلاثين من عمره كان هنالك غموض حول إختلاف جيناته الوراثة و يعمل كمسئولتنفيذي كبير في شبكة التلفزيون الوطنية و كان صبيهاً متقلب المزاج و مؤمناً بمعتقدات العالم و لكن الدون يعتقد أنه سوف يكون فاشلاً في أي مهمة خطيرة و لكن في الوقت الراهن فأن اسمه كثيراً ما يرد في الصحف كنوع من البصيرة الأبداعية مما جعل الدون مسروراً و لكن لم يقنعه ذلك و بعد كل شيء فإن والده يعرفه بشكل أفضل.

كانت ابنته نيكول محبوبة و عرفت بأسم نيكى عندما كانت طفلة صغيرة و لكنها في سن السادسة طالبت بشراسة أن يطلق عليها أسمها الحقيقي و كانت شريكته المفضلة و في سن التاسعة و العشرين أصبحت محامية شركات و ناشطة نسوية و محامية مجانية للمجرمين الفقراء و اليائسين اللذين لا يستطيعون تحمل تكاليف الدفاع القانوني الملائم و لقد كانت ماهرة بشكل خاص في إنقاذ القتلة من الكرسي الكهربائي و قتالي الأزواج من السجن و إعادة المغتصبين بمنحهم مهلة للحياة كما تعارضت تماماً عقوبة الأعدام و تثق في إعادة تأهيل أي مجرم و كانت ناقدة شديدة للهيكلة الأقتصادي في الولايات المتحدة و تعتد أن بلداً غنياً مثل امريكا لا ينبغي أن يكون غير مكترث بشؤون الفقراء مهما كانت اخطاؤهم و بالرغم من كل هذا فقد كانت مفاوضة ماهرة جداً و حازمة فيما يتعلق بقانون الشركات و هي إمراة مدهشة و قوية و لم يتفق الدون معها على أي شيء.

اما بالنسبة لأستور فقد كان جزءاً من العائلة فهو ابن أخ الدون و الأقرب إليه و لكنه بدا و كأنه أخ للآخرين و ذلك بسبب سحره و حيويته الشديدة، و ما بين سن الثالثة إلى ستة عشر عام كان ودوداً و هو الأخ الأصغر و المحبوب إلى أن تم نفيه إلى صقلية قبل أحد عشر عاماً.

خطط دون لتقاعده بحرص شديد ولذلك قام بتوزيع سلطة إمبراطوريته ليرضى الأعداء المحتملين ولكنه أيضاً قام بشكر الأصدقاء المخلصين مع العلم أن الإمتنان هو أقل الفضائل الدائمة وأن الهدايا يجب تبادلها بصورة دائمة كما كان حريصاً بشكل خاص علي تهدئة تيمونا بورتيتلا وذلك لأن بورتيتلا خطر بسبب إنحرافه وميله للقتل العنيف الذي يكون لاجابة له في بعض الأحيان.

كان هنالك لغزاً للجميع وهو كيفية هروب بورتيتلا من مدامات مكتب التحقيقات الفيدرالى خلال التسعينيات وذلك لأنه أمريكي لا يتمتع بحدة الذهن بل كان رجلاً مهملاً ومسرماً وذا طبع سريع الإنفعال وله جسم ضخم وبطن شنيع ويرتدى ملابس مثل باليرمو بيتشيوتو ذلك القاتل الشاب والمبتدئ الذى يرتدي جميع الألوان والحريير. لقد إرتكزت سلطة الدون على توزيع العقاقير الغير مشروع و لم يتزوج أبداً حتى سن الخمسين فقد كان لايزال مهملاً وفاسقاً وملاحقاً للنساء وأظهر تعلقه الحقيقي بشقيقه الأصغر برونو الذى بدا متخلف بعض الشيء ومع ذلك شارك أخيه الأكبر في أعماله الوحشية.

لميثق دون أبريل ببورتيتلا قط ومن النادر أن ينفذ أعمالاً معه فقد كان رجلاً خطيراً بسبب ضعفه وأنه كان رجلاً محايداً وذلك إستدعى تيمونا بورتيتلا لعقد إجتماع فوري.

وصل بورتيللا مع شقيقه برونو وقابلهم أبريل بكياسته اللطيفة المعتادة ولكن سرعان ما إنتقل إلي لب الموضوع.

قال دون : عزيزى تيمونا إننى متقاعد من جميع الشئون التجارية بإستثناء بنوكى ، وفي الوقت الراهن ستكون أكثر أهمية فى نظر العامة لذا يجب عليك أن تكون حذراً وإن كنت بحاجة إلى أي نصيحة فقط إتصل بي وذلك لأنني لن أكون من دون أي ثروة في تقاعدي.

برونو نسخة طبق الأصل من شقيقه وكان معجباً بمكانة الدون المرموقة وفي هذه اللحظة إبتسم لأخيه الأكبر ولكن تيمونا فهم الدون بطريقة أفضل وكان يفهم أنه يجرى تحذيره.

أوما تيمونو برأسه إحتراماً للدون ثم قال: أن تقدم أفضل رأي لنا جميعاً فأنا أحترم ماتقوم به لذا إعتد علي كصديق لك.

قال دون: جيد جداً جيد جداً، والآن كهديدة لك فأنا أطلب منك أن تستجيب لهذا التحذير وأن سيلك رجل مكتب التحقيقات الفيدرالي مخادع جداً لذا لاتثق به بأي شكل من الأشكال فقد كان منشغلاً بنجاحه وستكون هدفه المقبل.

قال تيمونا: ولكن كلانا هرب بالفعل وعلى الرغم من أنه أسقط جميع أصدقائنا فأنا لا أخافه ولكني أشكرك.

كان لديهم مشروباً إحتفالياً ثم ترك الدون الإخوة بورتيللا فى السيارة حينها قال برونو: ماهذا الرجل العظيم !

قال تيمونا: نعم لقتان رجلاً عظيماً.

أما بالنسبة للدون فلقد كان مقتنعاً تماماً ورأى الذعر فى عيني تيمونا وتأكد له أنه لن يكون هنالك أي خطر منه.

طلب دون إبريل عقد إجتماع خاص مع كورت سيلك رئيس مكتب التحقيقات الفدرالي في نيويورك وكان لدى سيلك مفاجأة خاصة للدون الذي كان معجباً به وقام بإبداع معظم رؤساء المافيا في الساحل الشرقي في السجن و سلب كل نفوذهم تقريباً.

ولقد قام دون رايموند أبريل بمراوغته وذلك لمعرفة الدون بهوية سيلك فهو يعمل كمخبر سوي وهو ما جعل نجاحه ممكناً ومع ذلك أعجب الدون بسيلك والأكثر من ذلك أنه رجل يتنافس دائماً بصورة عادلة كما أنه لم يحاول أبداً إتهام

شخص بريء أو التلاعب بالسلطة للمضايقات ولم يترك أثر ألم على أطفال الدون ولذلك شعر دون أن من الإنصاف تحذيره.

وكان الإجتماع في عزبة بلد الدون في مونتوك وسياتي سيلك لوحده وذلك خرقاً لقوانين المكتب فقد أعطى مدير مكتب التحقيقات الفدرالي نفسه الحق على الموافقه ولكن أصر على سيلك بأن يستخدم جهاز تسجيله الخاص فقام بتثبيته تحت صدره بحيث لا يكون ظاهراً على سطح الجسد وفي ذلك الوقت لم يكن هذا لجهاز معروفاً لدى عامة الناس وذلك لأن تصنيعه يتم تحت رقابة صارمة حينها أدرك سيلك أن الغرض الحقيقي من السلك هو تسجيل ماسيقوله الدون.

ولقد إلتقيا في تشرين الأول على شرفة الدون حينها ظن سيلك أنه لن يستطيع أن يتسلل إلى منزل الدون بجهاز الإستماع وذلك لأنه كان يفرض نظام المراقبة البدنية المستمر وفي هذا اليوم لم يتم تفتيشه من قبل رجال الدون بأي شكل من الأشكال مما جعله متفاجئاً ومن الواضح أن دون رايموند أبريل قصد أن يكون دخول سيلك مشروعاً.

وكما هو الحال دائماً كان سيلك مندهشاً أو حتى منزعجاً من الإنطباع الذي عكسه الدون عليه وعلى الرغم من معرفته بقيام ذلك الرجل بتنظيم المئات من جرائم القتل وكسر عدد لا يحصي من قوانين المجتمع ومع ذلك لم يستطيع كرهه فهو يعتقد أن مثل هؤلاء الرجال الأشرار يكرهونهم لتدميرهم للنسيج الحضارى.

أرتدى دون أبريل بدلة قاتمة مع ربطة داكنة وقميص أبيض وكان يبدو مترناً وحتى خطوط وجهه كانت خطوطاً رقيقة سهلة الفهم حيث تعبر عن فضيلة المحبة لدى ذلك الرجل. حينها تساءل سيلك كيف لهذا الإنسان أن ينتمي إلي شخص بلا رحمة.

لم يسع دون للمصافحه وذلك لحساسيته لكي لا يخرج سيلكي فقط حنى رأسه للتحية وأوما لضيفه ليجلس.

قال دون: قررت أن أضع نفسي وعائلتي تحت حمايتك أي حماية المجتمع.

كان سيلك مندهشاً وقال في نفسه ما هذا بحق الجحيم! هل يعني العجوز مايقول؟

قال دون: علي مدى السنوات العشرين الماضية جعلت من نفسك عدواً لي ولاحتقتني ومع ذلك كنت دائماً ممتناً لعقلانيتك التي تركز على اللعب النزيه كما أنك لم تحاول أبداً عكس أي شهادة زور ضدي وقد وضعت معظم أصدقائي في السجن وحاولت بكل السبل أن تفعل لي الشيء نفسه.



إبتسم سيلك وقال: ومازلت أحاول. حينها أوما الدون برأسه تقديراً وقال: لقد خلصت نفسي من كل شيء مشكوك فيه ماعدا عدداً قليلاً من المصارف وبالتأكيد الأعمال المحترمة ووضعت نفسي تحت حماية مجتمعك وفي المقابل سأجزج اجبي في ذلك المجتمع ويمكنك جعل ذلك أسهل بكثير إن لم تلاحقني كما أنه لم تعد هناك حاجة لذلك.

هز سيلك كتفيه معرباً عن عدم رضاه قائلاً: أن المكتب هو من يقرر، و قد كنت الاحقك لفترة طويلة فلماذا توقفت الآن؟ ربما يحالفني الحظ.

أصبح وجه الدون أكثر غموضاً وتعباً حينها قال: لدي موضوع أود مناقشته معك فإن نجاحك الهائل في السنوات القليلة الماضية أثر على قراري ولكن هناك أمر و هو أنني أعلم أن لديك مخبراً سرياً وأعرف من هو ولكنني لم أخبر أحداً.

تردد سيلك لثواني فقط قبل أن يقول بطريقة غير ملائمة: ليس لدي مثل هذا المخبر ومرة أخرى فإن المكتب هو الذي يقرر وليس أنا فقد أضعت وقتي.

قال دون: لا لا، أنا لا أبحث عن ميزة بل مجرد تسوية للخلافات، وأسمح لي بحكم سني أن أخبرك بما تعلمت: لا تستخدم السلطة لأنها في متناول يدك ولا تندفع بعيداً بثقتك بالفوز المؤكد عندما يخبرك عقلك أن هنالك مجرد لمحة من المأساة وأسمح لي أن أقول لك أنني أعتبرك الآن بمثابة صديق لي وليس عدو وعليك أن تفكر في نفسك ماذا ستكسب أو تخسر برفضك لهذا العرض.

قال سيلك بإبتسامه: وإن كنت متقاعداً بالفعل فما فائدة صداقتك؟

قال دون: ستحصل على نيتي الحسنة وهي شيء له قيمة حتي من أصغر الرجال.

في وقت لاحق شغل سيلك شرط التسجيل لنائبه بيل بوكستون الذي سأله قائلاً: ماهذا بحق الجحيم! هل كان ذلك كل شيء؟

قال له سيلك: هنالك بعض الأمور عليك تعلمها فقد كان يخبرني أنه لم يكن مسالماً جداً وأيضاً كان يراقبني.

قال بوكستون: ماهذا الهراء، لايمكنهم مس وكيل فدرالي.

قال سيلك: هذا صحيح وهذا هو السبب الذي جعلني راقبه سواء كان متقاعداً أو غير متقاعد ومازلت حذراً فلايمكننا أن نكون واثقين تماماً.

وبعد دراسة تاريخ أرقى العائلات في أمريكا وجد أن هؤلاء اللصوص النبلاء بنوا ثروتهم بلا رحمة وقاموا بكسر القوانين وأخلاقيات المجتمع البشري حيث أصبح دون أبريل مثلهم ومتمبرعاً للجميع مثلهم وكان لديه أمبراطوريته ويملك عشرة بنوك خاصة في أكبر مدن العالم فقد قام بالتبرع بمبلغ كبير لبناء مشفى للفقراء كما تبرع للأعمال الفنية وقام بتأسيس مقعد في جامعة كولومبيا لدراسة عصر النهضة.

وبالفعل قامت بيل وهارفارد برفض العشرين مليون دولار التي دفعت للمبنى لكي يسمى بإسم كريستوفر كولومبوس الذي كان في ذلك الوقت مذموماً في الأوساط الفكرية وقامت بيل بتقديم إقتراح لأخذ المال وتسمية المبنى من بعده ساكو وفانزيتي ولكن دون لم يكن مهتماً بساكو وفانزيتي فقد كان يحقر الذين يضحون برغباتهم.

الرجل الذنيء سوف يشعر بالإهانة والظلم ولكن ليس رايموند أبريل وبدلاً من ذلك فقد أعطي المال للكنيسة الكاثوليكية من أجل الجموع اليومية لينشدو لزوجته المتوفيه ذات الخمسة وعشرون عاماً.

وتبرع بمبلغ مليون دولار لشرطة نيويورك للجمعية الخيرية ومليوناً أخرى للمجتمع من أجل حمايه المهاجرين الغير شرعيين. وبعد ثلاث سنوات من تقاعده غدق العالم ببركاته فقد كانت محفظته مفتوحة لأي طلب بإستثناء واحد وهو رفضه لمطالبات نيكول للمساهمة في حملة ضد عقوبة الإعدام وهى حملتها الصليبية لوقف عقوبة الأعدام.

ومن المدهش حقاً كيف لثلاث سنوات من الأعمال الصالحة والكرم أن تكون قادرة علي محو سمعة ثلاثين عاماً تقريباً من الأعمال الوحشية. ولكن الرجال العظماء أيضاً آمنوا بحسن نياتهم والنسيان الذاتي ومغفرة خيانة الأصدقاء وإستخدام الأحكام المهلكة.

أما بالنسبة لدون رايموند أبريل فقد عاش حياته بقواعد صارمة وبأخلاقه الخاصة وهذا البروتوكول جعله يحترماً لأكثر من ثلاثين عاماً ولقد خلق خوفاً إستثنائياً وكان ذلك أساس سلطته حيث كان المبدأ الرئيسي لهذا البروتوكول هو عدم وجود رحمة إطلاقاً.

لاتتبع هذه الشهرة من الفطرة الوحشية ولا من الرغبة النفسية في إلحاق الإذى بل تتبع من الفئاعة المطلقة التي يرفض الرجال الإنصياع لها دائماً حتي الملاك لوسفير الذي تحدى الإله وقذف من السموات.

لذا فإن الرجل الطموح الذي يكافح من أجل السلطة ليس لديه أي سبيل آخر وبالطبع فإن هنالك بعض القنوات وبعض التنازلات لمصلحة رجل آخر بمنطق وإعتدال. ولكن إذا فشل كل ذلك فهناك عقوبة الإعدام فقط وليس هنالك أي تهديد بأشكال العقاب الأخرى التي قد توحى بالانتقام وببساطة فإن النفي من هذا المجال الدنيوي أمر لا يستهان به.

كان العذر أعظم إهانة ولذلك فإن عائلة الخائن سوف تعاني كما ستعاني دائرة أصدقائهم وسوف يدمر كل عالمه. ولأن هنالك بعض الرجال الشجعان والفخوريين والراغبين في المغامرة بحياتهم من أجل مصالحهم الخاصة ولكن عليهم التفكير مرتين بالمخاطرة بأحبائهم. وبهذه الطريقة ولد دون أبريل هذا الكم الهائل من الإرهاب فقد إعتد على كرمه وخبرته بحاجيات الناس لينال حبه.

ولكن يجب أن يقال أنه كان بلا رحمة تجاه نفسه وكان يمتلك سلطة هائلة وبالرغم من ذلك فإنه لم يتمكن من منع وفاة زوجته الشابة بعد أن أنجبت له ثلاثة أطفال فقد توفيت وفاة بطيئة ومروعة بسبب السرطان حيث مارضها لأكثر من ستة أشهر وخلال تلك الفترة أصبح يعتقد أنها معاقبة علي جميع الخطايا المهلكة التي إرتكبها و قرار أن يكفر عن ذنوبه و أنه لن تزوج مرة أخرى و سيقوم بإرسال أبنائه ليتعلموا مناهج المجتمع الشرعي و يجب أن لا يكبروا في عالم مليء بالكراهية و الخطر و عليه مساعدتهم ليعثروا على طريقهم و لكن لا يجب عليهم الانخراط في أنشطته. و بحزنه الشديد عزم على أن لا يعرف أبداً ماهية الأبوة الحقيقية.

لذلك رتب دون لأرسال نيكول و فاليريوس و ماركانتونيو إلى مدارس داخلية و لم يدخلهم أبداً في حياته الشخصية. و بعد ذلك عادوا إلى المنزل لقضاء العطلة بينما كان يلعب دور الأب الذي يعتني بإبنائه غير أنه كان بعيد عنهم و لكنهم لم يصبحوا جزء من عالمه.

و بالرغم من كل شيء فقد كانوا مدركين لسمعته و مع ذلك فقد أحبوه و لم يتحدثوا عن ذلك فيما بينهم فقلد كان أحد أسرار تلك العائلة و الذي لم يكن سراً.

لا يمكن لأحد أن يدعوا دون بالعاطفي فقد كان لديه عدد قليل من الأصدقاء المقربين و لا يمتلك حيوانات أليفة و كان يتجنب العطل و التجمعات الاجتماعية بقدر الأمكان و ذات مرة قبل سنوات عديدة قام بعمل عاطفي مما أذهل زملائه في أمريكا.

فعندما عاد دون أبريل مع طفله أستور من صقلية وجد زوجته الحبيبة تموت من السرطان و أطفاله الثلاثة يائسين و كان لا يريد الاحتفاظ بالرضيع المثير للأعجاب في مثل هذه الظروف خوفاً من إلحاق الضرر به بطريقة ما و لذلك قرر وضعه في رعاية أحد أقرب مستشاريه و هو رجل يدعى فرانك فيولا و زوجته و برهن أنه لم يكن خيار حكيم و في ذلك الوقت كان فرانك فيولا يطمح لإنجاح الدون.

و لكن بعد وقت وجيز من وفاة زوجته أصبح أستور فيولا فرد من عائلة دون الشخصية و في سن الثالثة ذلك عندما انتحر والده على صندوق سيارته و في مثل هذه الظروف الغريب توفيت والدته بسبب نزيف في المخ.

عندما كبر أستور بما فيه الكفاية لبدء التساؤل عن والديه، أخبره دون رايموند أنه يتيم و لكن أستور كان صبيّاً عنيداً و غريب الأطوار لذلك قرر الدون أن يضع حداً لجميع أسئلته و أخبره أن والديه كانا فلاحان عاجزان عن إطعامه و توفياه لأسباب غير معروفة في قرية صغيرة في صقلية . وقتها عرف دون أن هذا التفسير لم يرضي الصبي تماماً و شعر بالذنب لخضاعه للطفل و لكن يعلم مدى أهمية ذلك في الوقت الذي لا يزال فيه الطفل صغير لأن ذلك يساعده على الحفاظ على جذور المافيا السرية و سلامة أستور نفسه و سلامة أطفال أبريل.

كان دون رايموند رجلاً ذا نظرة ثابتة حيث عرف أن نجاحه لن يدوم للأبد فلقد كان عالماً مليء بالخيانة. خطط دون منذ البداية على تبديل الأطراف بالانضمام إلى سلام المجتمع المنظم فقد كان واعياً بهدفه حقاً و لكن الرجال العظماء لديهم المقدره على معرفة ما سيتطلبه المستقبل و في هذه الحالة يتصرف من دون رحمة. و عندما كان أستور في سن الثالثة من العمر كان عليه أن لا يمتلك أي إنطباع ولا بدي أي تلميح لما سيصبح عليه لاحقاً كرجل أو مدى أهمية الذي سوف يقوم به في الأسرة.

أدرك دون أن مجد أمريكا ناتج عن ظهور العائلات النبيلة و أن أفضل طبقة إجتماعية تتكون من هؤلاء الرجال اللذين أرتكبوا جرائم كبيرة في البداية ضد ذلك المجتمع، و مثل هؤلاء الرجال اللذين يبحثون عن الثروة يعملون ايضاً على بناء أمريكا ، و يكفون عن الأعمال الشريرة لتندثر في عالم النسيان و لكن كيف يمكن أن يتم ذلك؟ ترك السهول الكبرى في أمريكا لهؤلاء الهنود الغير قادرين على تخيل مسكناً من ثلاثة طوابق؟ ام ترك كالفورنيا للمكسيكيين الذين لا يمتلكون الكفاء التقنية و ليس لديهم تصور بعمل قنوات مائية ضخمة لكي تزود الأراضي بالمياه مما يساعد على الأستمتاع بالحياة المزدهرة؟ و كانت أمريكا تمتلك عبقرية تعمل على جذب الملايين من العمال الفقراء من جميع أنحاء العالم عن طريق جذبهم للعمل الجاد و اللازم لبناء السكك الحديدية و السدود و مباني تناطح السحاب. أه! كان

تمثال الحرية عمل ترويجي عبقرى. أولم يتحول للأفضل؟ لكن من المؤكد أن هنالك بعض الكوارث التي تعتبر جزءاً من هذه الحياة. لم تكن أمريكا تستمتع بتلك الوفرة العظيمة التي أشتهرت بها في العالم؟ لم تكن مقياساً للظلم بل ثمناً صغيراً للدفع؟ بطبيعة الحال فقد كان على الأفراد التضحية دائماً من أجل تقدم الحضارة و مجتمعهم الخاص.

و لكن هنالك تعريف آخر للرجل النبيل أولاً: أنه لا يقبل ذلك العبء و بعض الطرق الأجرامية و الغير أخلاقية أو عن طريق المكر المطلق، و سوف يصعد على قمة تلك الموجة من التقدم البشري و من دون تضحية.

دون رايموند أبريل و أن مثل هذا الرجل أسس سلطته الخاصة بواسطة ذكائه و بسبب إفتقاره الكامل للرحمة، و هكذا خلق رعباً و أصبح أسطورة و لكن عندما كبر أبناءه لم يصدقوا ابداً معظم تلك القصص البشعة.

هنالك أسطورة منذ البداية حينما كان دوره كزعيم للعائلة فقد سيطر دون على شركة بناء يديرها تابع و هو تومي ليوتي الذي جعله دون غنياً في سن مبكرة من عمره عن طريق عقود بناء المدينة، فهو رجل وسيم و بارع، و أستمتع دون بشراسته دائماً و لكن لديه عيب واحد و هو أنه كان يشرب بإفراط.

تزوج تومي بليزا أعز صديقة لزوجة دون، فهي امرأة جميلة من الطراز القديم و لها لسان لاذع، حيث شعرت أن من واجبها الحد من سعادة زوجها بنفسه التي قادت لبعض الحوادث المؤسفة. كان يقبل تعليقاتها اللاذعة عندما يكون متزناً و لكن عندما يكون في حالة سكر فإنه يصفع وجهها بكل قوته بما فيه الكفاية لجعلها تعض لسانها.

من المؤسف أيضاً أن الزوج يتمتع بقوة هائلة بسبب العمل الشاق و قضاء وقت طويل في مواقع البناء خلال فترة شبابه، وكان يرتدي قمصان ذات أكمام قصيرة لتظهر ساعده الرئعان و عضلة الذراع القوية.

للأسف تصاعدت الحوادث لأكثر من عامين، و في إحدى الليالي كسر تومي أنف ليزا و لكم بعض الأسنان الأمامية مما تطلب تدخل جراحي باهظ الثمن ومع ذلك لم تجرؤ المرأة على طلب الحماية من زوجة دون أبريل لأن مثل هذا الطلب يجعلها ارملة و هي مازالت تحب زوجها.

لم يكن لدى دون أبريل أي رغبة على التدخل في خلافات أتباعه الخاصة بسبب صعوبة حل مثل تلك الأمور. و لن يكون مهتماً إذا قتل الزوج زوجته و لكن

الضرب يشكل خطراً على علاقاته التجارية ويمكن للزوجة الغاضبة أن تقدم دلائل معينة و معلومات ضارة عن الزوج الذي يحتفظ بمبالغ كبيرة من النقود في منزله من تلك الرشاوي العرضية اللازمة لتحقيق استيفاء عقود المدينة.

لذلك إستدعى دون أبريل الزوج، و من الواضح أنه تدخل في حياة الرجل الشخصية بكياس شديدة و ذلك بسبب تأثيرها على الأعمال التجارية حيث نصح الرجل بقتل زوجته صراحة أو تطليقها أو عدم معاملتها بقسوة أكثر من ذلك حينها أكد الزوج أن ذلك لن يحدث مرة أخرى و لكن الدون كان غير واثق به و لاحظ بعض البريق ف عيني الرجل وهو بريق الحرية الذي اعتبره أحد أسرار الحياة العظيمة و أن ذلك الرجل سيفعل ما يشعر به من دون اعتبار للتكلفة. تحالف الرجال العظماء مع الملائكة على قيمة رهيبية لأنفسهم و أنغمس الرجال الأشرار في نزواتهم الدنيئة من أجل القليل من الرضا، بينما يتقبلون مصير الحرق في الجحيم.

هكذا أنضح لتومي ليوتي، و مضى قرابة العام و يزداد لسان ليزا مكرماً مع تساهل زوجها. و بالرغم من تحذير الدون له و بالرغم من حبه لأبنائه و زوجته قام تومي بضربها بشكل عنيف جداً، و أنتهى بها المطاف بالمشفى مع اضلاع مكسورة و ثقب في الرئة.

أقنع تومي بثروته و علاقته السياسية أحد قضاة دون الفاسدين و اعطاه رشوة كبيرة ثم تحدث مع زوجته لتعود إليه.

لاحظ دون لهذا ببعض الغضبو الأسف و تولى مسؤولية هذه القضية حيث أهتم اولاً بالجوانب العملية للقضية و حصل على نسخة من وصية الزوج و عرف أنه يشبه رجل العائلة الجيد الذي ترك جميع حاجياته الدنيوية لزوجته و أطفاله و أنها سوف تكون ارملة غنية. و بعد ذلك أرسل فريق خاص و بتعليمات محددة و في غضون أسبوع تلقى القاضي صندوق طويل ملفوف بأشرطة و بداخله زوج من قفازات الحرير الطويلة و الباهظة الثمن و فيهما ساعدا الزوج الضخمين و كان يرتدي غلى أحد معصميه ساعة رولكس الباهظة الثمن التي أعطاها له قبل سنوات كرمز لتقديره. و في اليوم التالي تم العثور على بقية الجسد يطفو على الماء حول فيرازانو.

لقد كانت أسطورة أخرى تقشعر لها الأبدان بسبب الغموض مثل بعض قصص الأشباح الطفولية. بينما إلتحق أطفال دون الثلاثة بمدارس داخلية. و قام صحفي مغامر و موهوب بملاحظة طريقتها التي تكشف عن ضعف المشاهير و تعقبهم إلى أسفل و أغرائهم إلى ما يبدو و كأنه تبادل لفظي غير ضار، و كان لدى الكاتب متعة

شديدة بسذاجتهم و بملابسهم الثمينة، و مثالية احداثهم حول كيفية جعل العالم أفضل. قارن الصحفي ما بين سمعة الأب و الاعتراف بأن دون لم تسبق أدانته بجريمة.

أصبح مشهوراً و له صيتفي صالات التحرير و على جميع أنحاء البلاد، و كان هذا هو نوع النجاح الذي يحلم به الكاتب و الذي أحبه الجميع.

كان الصحفي محباً الطبيعة يأخذ زوجته و طفليه كل عام إلى كوخ في شمال نيويورك من أجل الصيد و صيد الأسماك و العيش ببساطة. لقد قضوا هنالك وقتاً طويلاً خلال عطلة نهاية الأسبوع و عيد الشكر. وفي يوم السبت اشتعلت النيران في الكوخ الذي يبعد عشر أميال عن أقرب مدينة، و تأخر الأنفاذ لساعتين تقريباً و بمرور الوقت أحرق المنزل و تحول إلى ركام و دخان اما الصحفي و عائلته فقد أصبحوا مجرد عصي هشة متفحمة. و لقد حدث احتجاج شديد و تم إجراء تحقيق واسع و لكن لم يتم العثور على دليل للعبة القذرة و استنتجوا أن افراد العائلة إختنقوا بالدخان قبل أن يتمكنوا من الفرار.

بعد بضعة أشهر من المأساة حدث شيء غريب فقد بدأت الهمسات و الشائعات تنتشر، و تلقى مكتب التحقيقات الفدرالي و الشرطة و الصحافة معلومات مجهولة المصدر و تشير جميعها إلى أن الحريق كان عملاً إنتقامياً من قبل دون أبريل الشهير. و قد عملت الصحافة على تسخين القصة و طالبت بإعادة فتح القضية، و بالرغم من كل الأدلة لم يصدر أي قرار أتهام و أصبحت هذه أسطورة أخرى من وحشية الدون.

و لكن كانت تلك هي الفكرة العامة و الشائعة، و أن السلطات كانت مقتنعة في هذه الحالة أن الدون بعيداً عن دائرة الأتهام، و الجميع يعلمون أن الصحفيين معفيين من أي أنتقام. و يتوجب عليك قتل الآلاف، ما هي الغاية من ذلك؟ كان دون شديد الذكاء لخوضه مثل هذه المخاطرة، و مازال اسطورة لم تمت حتى أن بعض فرق مكتب التحقيقات الفيدرالي تعتقد أن دون نفسه عمل على إثارة الشائعات لتحقيق أسطوره و هكذا نمت.

و لكن هنالك جانب آخر لدون و هو الكرم، فأن خدمته بإخلاص سوف تصبح غني فقد كان مدافع هائل في أوقات الشدة، و كانت المكافآت التي قدمها دون ضخمة و لكن العقوبات النهائية فقد كانت أسطوره.

بعد إجتماع دون أبريل مع بورتيللا و سيلكي الذي فصل لهما فيه الخطة من أجل الترتيب معهما أقترح عليهما جلب أستور فيولا إلى الوطن بعد نفيه الذي دام أحد عشر عاما.

فقد كان بحاجة لأستور، و بالفعل هيئه لهذه اللحظة فقد كان أستور المفضل للدون حتى على أطفاله و عندما كان أستور صغيراً دائماً ما يكون زعيماً وقبل إختلاطه بآخرين. و كان يحب الدون و لا يخاف منه كما يخافه أطفاله في بعض الأحيان، و بالرغم من أن فاليريوس و ماركانتونيو كانا في سن العشرين و الثمانية عشر عاما و كان أستور في سن العاشرة و مع ذلك أسس إستقلاله عنهم. بالفعل حاول بعض الضباط العسكريين و المتشددين معاقبة فاليريوس و لكنه رد الهجوم. كان ماركانتونيو حنوناً جداً معه فقد اشترى له اول بانجو (آلة موسيقية) لتشجيعه على الغناء، و قبل أستور هذه الهدية على سبيل المجاملة من شخص بالغ إلى آخر.

الشخص الوحيد الذي يأخذ منه أستور الأوامر هي نيكول و على الرغم من أنها أكبر منه بعامين و مع ذلك عاملته مثل العاشق كما طلب هو حتى لو كان صبي صغير. و لقد جعلته يؤدي ليها المهمات و تستمع بهدوء إلى الأغاني الإيطالية التي غناها لها، و صفته على وجهه عندما حاول تقبيلها حتى و إن كان صبي صغير، فقد كان أستور مبتهج بجمالها الأنثوي.

كانت نيكول جميلة و ذات عينان كبيرتان و داكنتا اللون و لها ابتسامة مغرية و وجه يكشف كل انفعال تشعر به. و لقد تحدثت أي شخص حاول أن يقنعها أنها كمثلتها من الأنثا و أنها غير مهمة مثل أي رجل في عالمة و كانت تكره حقيقة أنها لم تكن قوية جسدياً مثل إخواتها و أستور و لم تتمكن من أثبات إرادتها بالقوة و لكن بجمالها، و لقد جعلها كل هذا لا تعرف الخوف على الإطلاق، و سخرت عليهم جميعاً حتى والدها بالرغم من مكانته المرموقة.

بعد وفاة زوجته و بينما كان ابناه لا يزالون صغاراً كان لدون أبريل عادة قضاء شهر صيفي واحد في صقلية. فقد كان يجب الحياة في قريته الأصلية بالقرب من بلدة مونتيلبر حيث أنه لا يزال يمتلك عقارات هنالك و هو المنزل الذي يلجأ إليه من كل البلاد و يسمى فيلا غراتسيا.

بعد بضعة أعوام استأجر مدبرة منزل و كانت ارملة من صقلية تدعى كاترينا و هي امرأة جميلة جداً و قوية تتمتع بجمال ريفي و خبيرة بكيفية إدارة الممتلكات و تمتلك القدرة على السيطرة و الاحترام من القرويين. و لقد أصبحت عشيقته و لكنه



جعل كل هذا سراً عن عائلته و أصدقائه بالرغم من أنه كان رجل في الأربعين من عمره و ملكاً في عالمه.

كان أستور يبلغ من العمر عشرة أعوام فقط عندما رافق دون أبريل إلى صقلية في المرة الأولى، و طلب من دون التوسط في الصراع الكبير بين كورليونيسي كوسكا و كليريسوزيو كوسكا، و كان من دواعي سروره قضاء شهر هادئي و مريح للبال في فيلا غراتسيا.

إتصف أستور في سن العاشرة باللطف و لا توجد كلمة تناسبه غير ذلك فهو دائم الأبتهاج و له وجه وسيم و بشرته ذات اللون الزيتوني التي تشع حياً، فقد كان يغني بصوت عذب بإستمرار و عندما لا يغني كان يتحدث بمرح، و بالرغم من ذلك إتصف بحماس المتمردين و كان يرهب ابناء جيله الآخرين.

أحضره الدون إلى صقلية لأنه أفضل رفيق لرجل في منتصف العمر و قد كان تعلق غريب عند كلاهما و الذي انعكس على كيفية تربية الدون لأطفاله الثلاثة.

و ما أن وطد دون شؤونه التجارية و سوى الخلافات و حقق سلام مؤقت بدأ يتمتع بوقته و يسترجع ذكريات طفولته التي عاشها في قريته صقلية، حيث تناول الليمون و البرتقال و الزيتون من براميلهم المالحة، و سار لمسافات طويلة تحت ضوء شمس صقلية الكئيب و المهلك الذي ينعكس على كل المنازل الحجرية و الصخور التي لا تحصى و لا تعد و الحرارة الشديدة. و لقد روى للصبي قصة روبن هود في صقلية و معاركهم ضد مورس و الفرنسيين و الأسبان و البابا نفسه و حكايات البطل المحلي دون زينو العظيم.

و في المساء جلسا سوياً على شرفة فيلا غراتسيا يشاهدان سماء صقلية الصافية التي تضيء بالآف النجوم و الشهب و وميض الشهب الذي يقذف بين الجبال على بعد مسافة قصيرة جداً. تعلم أستور اللهجة الصقلية سريعاً و تناول الزيتون الأسود من البراميل و كأنه قطع من الحلوى.

بعد بضعة أيام فرض أستور زعامته على مجموعة من أولاد القرية الصغار، و قد أعجب الدون بقدرته على فعل ذلك بأطفال صقلية لأنهم كانوا فخورين جداً و لا يخافون من أحد، و أصبح هؤلاء الأطفال الأبرياء اللذين لا تتجاوز أعمارهم العشرة أعوام يعرفون الوبارا و بندقية صقلية أكثر من أي وقت مضى.

قضى دون أبريل و أستور و كاترينا ليالي صيفية طويلة يتناولون الطعام و يشربون على الهواء الطلق في الحديقة الوافرة النماء و أشجار البرتقال و الليمون التي تشبع الهواء بعطر الحمضيات و في بعض الأحيان يدعو دون أصدقاء الصبا القدامى لتناول العشاء و لعبة البطاقات،و قد ساعد أستوركاترينا على تقديم المشروبات.

لم يظهر الدون و كاترينا أي إشارة تدل على المودة التي بينهم و لكن كل شيء كان مفهوماً في القرية و لذلك لم يتجرأ أي شخص على التودد لكاترينا فقد كانوا يظهرون لها كل الاحترام فقد كانت رئيسة الأناث في المنزل و لم يكن هنالك وقت في حياة الدون أكثر متعة من هذا الوقت.

قبل ثلاثة أيام فقط من نهاية العطلة حدث شيء لا يمكن تصديقه وهو خطف الدون أثناء سيره في شوارع القرية.

في مقاطعة سينيبي المجاورة و هي من أكثر المقاطعات النائية في صقلية، و قد كان رئيس قرية كوسكا و المافيا المحلية يشكلون عصابة شرسة و جريئة و قطاع طرق بأسم فيسولينى، و المطلق في سلطته المحلية أن ليس لديه صلة حقيقية مع بقية أعضاء مافيا كوسكا في الجزيرة و لم يكن يعرف شيئاً عن قوة دون أبريل الهائلة، و لم يعتقد أن بإمكانه خرق أمن عالمه النائي و لذلك قرر أن يخطف دون و يبقيه عنده من أجل الحصول على فدية. و القاعدة الوحيدة التي كان يعلم أنه قام بكسرها هي تعديه على أراضي كوسكا المجاورة، و لكن يبدو أن الولايات المتحدة غنية بما فيه الكفاية لتبرير المخاطر.

كوسكا هي الوحدة الأساسية لما يسمى بالمافيا و عادة ما تتكون من أقارب الدم. أما المواطنين الملتزمين بالقانون مثل المحامين أو الأطباء كانوا يلتحقون بالكوسكا من أجل حماية مصالحهم. و أي كوسكا هي منظمة في حد ذاتها و لكن ربما تتحالف مع منظمة أقوى و أكثر سلطة و هذا الترابط يسمى عادة بالمافيا و لكن ليس هنالك رئيس عام أو قائد.

كانت كوسكا عادة رائدة في مجال الأبتزاز في إقليم معين و هنالك تسيطر كوسكا على سعر المياه و تمنع الحكومة المركزية من بناء السدود لخفض الأسعار و بهذه الطريقة دمروا سلطة الحكومة و كوسكا الأخرى سوف تسيطر على الأغذية و الأسواق المنتجة و لكن الأقوى في هذا الوقت هي كاليكا كوسكا من باليرمو، و هيالتي تسيطر على أعمال البناء الجديدة في كلاً من صقلية و كورليونيبي كوسكا من كورليون و التي تسيطر على السياسيين في روما و تدبر وسائل نقل المخدرات

في جميع أنحاء العالم و بعد ذلك هنالك كوسكا ضئيلة و هي التي تطالب بضريبة من الشباب الرومانسي للغناء أمام شرفات أحبائهم. و بذلك فإن جميع الكوسكا تنظم الجرائم و كان عليهم أن لا يتساهلوا مع الفوائد المتأخرة، وتسريح المواطنين الأبرياء الذين دفعوا مستحقات كوسكا، أما اللذين طعنوا للحصول على الحقائق أو أعتصاب النساء فقد عوقبوا بالأعدام و لم يكن هنالك تسامح مع الزنا داخل كوسكا حيث أعدم كلاً من الرجال و النساء و قد كان ذلك مفهوماً.

جعلت كوسكا فيسوليني المعيشة فقيرة و سيطرت على بيع الرموز المقدسة التي دفعت رجال التي دفعت لحماية مواشي المزارعين و نظمت عمليات إختطاف الرجال الأثرياء و المهملين.

كان دون أبريل و أستور يسيران في شوارع قريتهم حيث تم رفعهم على أثنين من الشاحنات العسكرية الأمريكية الكلاسيكية من قبل فيسوليني و جماعته من الرجال المجهولين.

كان الرجال العشرة يرتدون ملابس ريفية و مسلحين بالبنادق، و قد التقطوا دون أبريل من الأرض و نجوا به في الشاحنة الأولى و من دون تردد قفز أستور إلى قاع الشاحنة المفتوحة للبقاء مع الدون حيث حاول اللصوص إلقاءه خارجاً و لكنه تعلق بأعمدة الخشبية. سارت الشاحنات لمدة ساعة للوصول إلى قاعدة الجبل حول مونتيلبير و بعد ذلك انتقل الجميع إلى ظهور الخيل و الحمير و تسلقوا المدرجات الصخرية يأتجاه الأعلى و على طول الرحلة لاحظ الصبي لكل شيء بتلك العينان الخضروان و الواسعتان و لكنه لم ينطق بكلمة.

وصلوا إلى كهف عميق في الجبال عند غروب الشمس و تناولوا العشاء الذي يتكون من لحم الخروف المشوي اللذيذ و الخبز البيتي الصنع و النبيذ. كان في مكان التخميم تمثال ضخم لمريم العزراء مطوق بمزار مزخرف بالخشب الداكن اللون. كان فيسوليني متدين بالرغم من وحشيته و اتصف بكياسة الفلاحين المعتادة حيث قدم نفسه إلى الدون و الصبي. و لم يكن هنالك شك على أنه زعيم العصاة فقد كان قصير القامة و قوي البنية مثل الغوريلا و يحمل بندقية و مسدسين على حزامه و كان قاسي الوجه مثل صقلية و لكن هنالك وميض مرح على عينيه فقد استمتع بالحياة كما لو كانت مجرد نكتة صغيرة، خاصة عندما احتجز بقوته أمريكي غني يقدر وزنه بالذهب و مع ذلك لم يحقد عليه.

قال الدون بسعادة: لأريد منك أن تقلق بشأن هذا الصبي الصغير لأنه سوف يحمل رساله الفدية فقط إلي المدينة صباح الغد.

كان أستور يأكل بشهية لأنه لم يتذوق أي شيء شهى كهذا الضأن المشوي ولكنه تحدث أخيراً بشجاعه وسرور قائلاً: أنا أقيم مع عمي رايموند.

ضحك فسيوليني ثم قال: الطعام الشهى يمنح الشجاعة، وأنا أظهر إحترامي من أجل سعادته ولقد أعددت هذه الوجبة بنفسى وأستخدمت توابل أمي الخاصة.

قال أستور: أنا أقيم مع عمي ولقد بدا صوته واضحاً وجريئاً.

قال دون أبريل لفسبوليني بصرامة ممزوجة ببعض اللطف: لقد كانت ليلة رائعة حيث الطعام والهواء الجبلي ورفقتك كما أنني أتطلع إلي الندى المنعش في الريف ولكنني أنصحك بأن تعيدني إلي قريتي.

إنحني له فسيوليني بإحترام وقال: أعلم أنك غني ولكن هل أنت قوي؟ سوف أطلب مائه ألف دولار فقط من المال الأمريكي.

قال دون: إن هذا يهينني وسوف يؤدي سمعتي.

قال فسيوليني: ضاعف ذلك بخمسين أخرى للصبي. قال دون: سيتم دفع المبلغ ولكن بعد ذلك سوف تكون حياتك بائسة ثم توقف للحظة وقال: أنا مندهش لأنك مغامرٌ جداً.

تنهد فسيوليني ثم قال: يجب أن تفهم يا صاحب السعادة أنني رجلٌ فقير وبالتأكيد يمكنني أخذ ما أريد في مقاطعتي، ولكن صقلية مثل اللعنة مثلي أنا ويجب أن تفهم أنك فرصتي لأصنع ثروتي.

وبعد ذلك يجب عليك أن تأتي إلي لتقدم خدماتك. قال دون: أنني أستعين بالرجل الموهوب.

قال فسيوليني: أنت تقول ذلك الآن لأنك ضعيف وعاجز، والضعفاء دائماً ما يكونون سخيين جداً ولكنني سوف أتبع نصيحتك وأطالب بالضعف وبالرغم من أنني أشعر بالذنب قليلاً علي ذلك. ولا يوجد هنالك إنسان يستحق الكثير وسأترك الصبي يذهب مجاناً فلدي ضعف تجاه الأطفال وذلك لأنني لدي أربعة أطفال ويجب علي إطعامهم.

نظر دون إبريل لأستور وقال: هل ستذهب؟

قال إستور: لا. ثم خفض رأسه وقال مرة أخرى: أريد أن أبقى معك. ثم رفع عيناه ونظر إلي عمه.

قال دون للصوص: إذن إسمحوا له بالبقاء. هز فسيوليني رأسه ورجع في كلامه وقال: لدى سمعه يجب أن أحافظ عليها ولاأريد أن أعرف كخاطف للأطفال وبعد كل شيء يا صاحب السعادة فإنه بالرغم من إحترامي الشديد لك سوف أضطر إلي إرسالك لهم قطعة قطعة إن لم يقوموا بدفع المبلغ، ولكن إن دفعوا المبلغ حينها سوف أعطيك كلمة شرف وهي بيترو فسيوليني ولن تمس شعرة من شاربك.

قال دون بهدوء: سوف يتم دفع المبلغ، والآن دعنا نقوم بأفضل الأشياء. هيا يا ابن أخي غني أحد أغنياتك لهؤلاء السادة.

غني أستور لهؤلاء اللصوص الذين سحروا بغنائهم وأثنوا عليه، وربتوا علي رأسه برفق. وبالفعل كانت لحظة ساحرة لجميعهم ولقد ملء صوت الطفل العذب الجبال بأغاني الحب.

ولقد جلبوا حقائب الأغذية وأكياس النومن الكهف المجاور.

قال فسيوليني: يا صاحب السعادة، ماذا تريد أن تتناول علي إفطار الغد؟ ربما بعض الأسماك الطازجة من الماء؟ ثم بعض الإسباغيتي ولحم العجل للغداء؟ ونحن في خدمتكم.

قال دون: شكراً لك، فقط القليل من الجبن والفاكهة سيكون ذلك كافياً.

قال فسيوليني: نم جيداً. حيث أشفق على مظهر الصبي البائس ثم ربت على رأس أستور وقال له: سوف تستريح غداً على سريرك الخاص.

أغمض أستور عينيه ليغفو فوراً على الأرض بجانب الدون. قال دون: أبقى بجانبه. ولف زراعته حول الصبي.

نام أستور بعمق إلي أن إرتفع سندير الشمس فوق رأسه وقد أيقظته أصوات الثرثرة حينها نهض ورأى أن الكهف مليء بخمسين رجلاً مسلحاً وكان دون أبريل وديع، هادئي، وقور ويجلس علي حافة صخرة كبيرة يحتسي كوباً من القهوة.

رأى دون أبريل أستور وأشار إليه قائلاً: أستور، هل تريد بعضاً من القهوة؟ وأشار بإصبعه إلي الرجل أمامه وقال: هذا هو صديقي العزيز بيانكو ولقد قام بإنقاذنا.

رأى أستور رجلاً ضخماً وعلى الرغم من أنه كان سيئاً جداً فقد كان يرتدي بدلة وربطة عنق ويبدو أنه غير مسلح ومثير للخوف أكثر من فسيوليني. وله رأس ذو شعر مجعد وأبيض اللون وله عينان كبيرتان قرنفلية اللون يشعان قوة ولكن يبدو أنه أخفى تلك القوة عندما تحدث بصوت منخفض وأجش.

قال أوكتافيوس بيانكو: يجب أن أعتذر لك على قدومي متأخراً جداً ولأنك نمت على الأرض مثل القرويين ولكني جئت بأسرع وقت ممكن بعد أن علمت بالأخبار ولقد كنت أعلم دائماً أن فيسيوليني راقص ولكن لم أتوقع منه أن يفعل ذلك.

بدأ هنالك صوت طرق، وذهب بعض الرجال بعيداً عن نظر أستور ورأي صبيان صغيران يقومان بتثبيت الصليب بالمسامير ثم إستلقى على جانب بعيد من الكهف ونظر إلي فيسيوليني ولصوصه العشرة مثبتين على الأرض ومقيدين بالأشجار وكانوا مغطيين بشبكة من الأسلاك والحبال وأطرافهم متشابكة مثل كومة من الذباب على قطعة من اللحم.

سأل بيانكو دون أبريل قائلاً: أياً من هذه الحثالة ترقب في الحكم عليه أولاً؟ قال دون: فيسيوليني وهو الزعيم. سحب بيانكو فيسيوليني أمام الدون وهو لا يزال مقيداً بإحكام مثل المومياء. قام بيانكو وأحد جنوده برفعه وإجباره على الوقوف ثم قال بيانكو: فيسيوليني كيف لك أن تكون غيباً جداً؟ ألم تعلم أن الدون تحت حمايتي أو كنت سأختطفه بنفسه؟ وهل تعتقد أنك إقتضت مجرد قارورة زيت؟ أم بعض الخل؟ وهل دخلت مقاطعتكم حتى؟ ولكن دائماً ماكنت عنيد وكنت أعلم أنك سوف تأتي بكارثه. حسناً بما إنك مثل المسيح يجب أن تعلق على الصليب، والآن قدم إعتذارك إلي دون أبريل والصبي الصغير وسوف أمنحك بعض الرحمة وأطلق النار عليك قبل تثبيتك بالمسامير.

قال دون لفسبوليني: حقاً! فسر لي قلة إحترامك.

وقف فسيوليني معتدلاً ومتغطرساً ثم قال: لكن عدم الإحترام لم يكن لشخصك يا صاحب السعادة ولم أكن أعرف مدى أهميتك ومعزتك لدى أصدقائك، وربما كان على ذلك الأحق بيانكو أن يبقيني على علم تام يا صاحب السعادة فلقد إرتكبت خطأ ويجب علي أن أتحمّل نتيجة ذلك. ثم توقف للحظة وصاح بغضب وإحتقار على بيانكو قائلاً: أوقف هؤلاء الرجال من دق تلك المسامير سوف أصاب بالصمم ولايمكنك إخافتي بالموت قبل أن تقتلني!

وقف فسيوليني مرة أخرى وقال لدون: عاقبني أنا ولكن تجنب رجالي فلقد نفذوا أوامري كما أن لديهم عائلات وسوف تدمر قرية بأكملها أن قمت بقتلهم.

قال دون أبريل بسخرية: هم رجال مسئولون، وأريد أن أهيئهم حتى إن لم يقاسموك مصيرك. في هذه اللحظة حتى عقل أستور الطفولي أدرك أنهم يتحدثون عن الحياة والموت حينها همس قائلاً: عمى لاتؤذيه. ولكن لم يبد دون أى إشارة إلى سماعه.

قال لفسيويني: تابع.

نظر إليه فسويوني بنظرة إستفهام ومع ذلك فخر وحذر فى نفس الوقت وقال: لن أتوسل من أجل حياتي ولكن هؤلاء الرجال العشرة الذين تم إلقاءهم هناك كلهم أقاربي بالدم فإن قتلهم فإنك تدمر زوجاتهم وأطفالهم وثلاثة منهم أزواج بناتي ولديهم الثقة المطلقة فى قراراتي. فإذا تركتهم يذهبون سوف أجعلهم يقسمون لك بولاء لاينكر قبل أن أموت، وسوف يطيعون أوامري وهذا الشيء مقابل حصولك على عشرة أصدقاء مخلصين وهو شيء صغير بالنسبة لك فلقد قيل لي أنك رجل عظيم، ولكن لايمكن أن تكون عظيماً حقاً إن كنت لاتظهر الرحمة وبالتأكيد لا يجب عليك أن تجعل من ذلك عادة ولكن فقط لهذه المرة. وإبتسم نحو أستور.

كانت هذه اللحظة مألوفة لدون أبريل، ولم يكن هنالك شك فى قراره ولكنه كان يرتاب من قوة تأثير الإمتنان ويعتقد أنه لايمكن لأي أحد أن يفرض الطاعة على أي رجل إلا عن طريق الموت وإعتبر فسويوني أنه غير مبالى وهز رأسه. تحرك بيانكو للأمام.

توجه أستور مسرعاً إلى عمه ونظر إليه مقاصداً عينيه ولقد فهم كل شيء وضع يده لحماية فسويوني.

قال أستور: لم يؤذينا ولكنه كان يريد أموالنا فقط.

إبتسم دون وقال: وهذا لايعنى شيء؟

قال أستور: ولكنه سبب وجيه فلقد أراد المال لإطعام عائلته وأنا أحبه رجاءاً عمى.

إبتسم له دون وقال: برافو. ثم ظل صامتاً لفترة طويلة متجاهلاً جر أستور ليده. ولأول مرة خلال سنوات عديدة شعر برغبته على إظهار الرحمة.

أشعل كلاً من رجال بيانكو سيجارة صغيرة وقوية جداً حيث فاح الدخان فى هواء الفجر الذى يحمله على نسائم الجبال. جاء أحد الرجال إلى الأمام وأخرج من سترة الصيد سيجارة وقدمها للدون. وبالرغم من براءة الأطفال فهم أستور أن هذا ليس فقط من باب المجاملة بل كان نبلاً على الإحترام. أخذ الدون السيجارة وقام الرجل بتقير يديه ليشعلها له.

نفخ دون السيجارة ببطء وتأن ثم قال: لن أهينك عن طريق إظهارى الرحمة لك ولكن سأقدم لك عمل منظم وأعلم أنك لم تكن خبيث وأظهرت أقصى قدر من

الإحترام لشخصي وللصبي ولذلك هذا هو الترتيب. سوف تعيش أنت ورفاقك ولكن بالنسبة لبقية حياتك ستكون تحت سيطرتي.

شعر أستور براحة شديدة وإبتسم لفيسيوليني حينها رأي فيسيوليني يجثو بركبتيه على الأرض وقبل يد دون. ولاحظ أستور أن المسلحين المحيطين ينفخون دخان السيجار بنشاط وحتى بيانكو الضخم مثل الجبل إهتز فرحاً.

همس فيسيوليني: بوركنت يا صاحب السعادة.

وضع الدون السيجارة على صخرة قريبة وقال: لقد قبلت بركتك ولكن عليك أن تفهم أن بيانكو جاء لإنقاذي ومن المتوقع أن تفعل الشيء نفسه وأنا أدفع له مبلغاً من المال وسوف أفعل الشيء نفسه لك كل عام. ولكن خيانة واحده سوف يتم تدميرك أنت وعالمك. أنت، زوجتك، أطفالك، وأبناء إخوتك، وأصهارك سوف تخنقون من الوجود.

نهض فيسيوليني من جثوه وعانق الدون وإنهمرت دموعه.

هكذا أصبح الدون وابن أخيه متحددين بصورة رسمية أكثر. أحب دون الصبي بقدرته على إقناعه بإظهار الرحمة وأحب أستور عمه لمنح فيسيوليني ورجاله العشرة فرصة الحياة وكان هذا تعهد إستمر لبقية حياتهم.

وعند الليلة الأخيرة في فيلا غراتسيا كان لدى دون بعض من الإسبريسو في الحديقة، وتناول أستور الزيتون من براميلهم وكان أستور غارق في أفكاره وهذا على غير عادته وحبه للإختلاط بالناس.

سأله دون: هل أنت حزين لمغادرتنا صقلية؟

قال أستور: أتمنى أن أعيش هنا. ثم وضع بذور الزيتون في جيبه.

قال دون: حسناً، سوف نأتي كل صيف معاً.

نظر إليه أستور كصديق قديم وحكيم وكان وجهه النضر مضطرب.

سأله قائلاً: هل كاترينا صديقتك؟

ضحك دون وقال: إنها صديقتي العزيزة.

فكر أستور في ذلك وقال: هل يعلم أبناء عمي بها؟



قال دون: لا أطفالي لا يعلمون. وكان دون مستمتعاً مرة أخرى مع الصبي ويتساءل عما سيأتي بعد ذلك.

وفى ذلك الوقت كان أستور جاداً للغاية وقال: هل يعلم أبناء عمي أن لديك مثل هؤلاء الأصدقاء الأقوياء مثل بيانكو والذين سوف يقومون بأي شيء تخبرهم به ويجب أن ينفذ؟

قال دون: لا. لا أريد أن أخبرهم عن أي شيء.

قال أستور: ولا حتى عن الإختطاف؟

شعر دون بموجة من الفخر لأن المافيا ولدت فى جيناته.

فى وقت متأخر من تلك الليلة ذهب أستور بمفرده إلى زاوية بعيدة من الحديقة وحفر حفرة بيديه فقط ووضع بذور الزيتون التى أخفاها داخل جيبه فى الحفرة.

وفى تلك الليلة الكئيبة نظر إلى أعلى نحو سماء صقلية الزرقاء وحلم بنفسه رجل كبير فى السن مثل عمه ويجلس على هذه الحديقة وفى ليلة مماثلة وهو يشاهد أشجار زيتونه تنمو.

وبعد ذلك تأكد دون أن كل شيء قد إنتهى، ورتب لنفسه ولأستور رحلة سنوية إلى صقلية حتى بلغ أستور سن السادس عشر. كون الدون فى عقله الباطن تصوراً لمصير الصبي.

ولقد كانت إبنته هي التي خلقت الأزمة التى دفعت أستور إلى ذلك المصير. فى سن الثامنة عشرة وقعت نيكول فى حب أستور فهى أكبر منه بعامين و ساهم مزاجها العصبي بصورة بسيطة على إخفاء الحقيقة. وقد اربكت ذلك الصبي الحساس جداً و أصبعا عاطفيان جداً بحماس الشباب الشديد.

لم يستطيع الدون السماح بذلك و لكنه جنرال و هو من قام بتعديل نهجه على منطقته ، و لم يبيدي أي تلميح يشير إلى معرفته بهذا الأمر.

فى إحدى الليالي دعا دون أستور إلى مخبأه و أخبره أنه سوف يرسله إلى انجلترا من أجل التعليم و التدريب على الأعمال المصرفية مع السيد بريور من لندن. ولم يعطه أي سبب آخر مع العلم أن الصبي يدرك أن إرساله بعيداً بغرض إنهاء العلاقة الغرامية. و لكنه لم يحاسب ابنته التي كانت تتصنت خلف الباب و بعد سماعها لهم اقتحمت الغرفة و لقد جعلها غضبها أكثر جمالاً.

صرخت على والدها: لا ترسله بعيداً، و سوف نهرب بعيداً.

ابتسم لها دون و قال بهدوء: يجب عليكم إكمال المدرسة.

التفتت نيكل نحو أستور الذي أحمر وجهه خجلاً و ارتباكاً و قالت له: أستور ألا تريد أن تذهب؟ أتريد ذلك؟

لم يجب أستور و انفجرت نيكلو باكياً.

سيكون من الصعب على أي أب أن لا يحزن بمثل هذا المشهد، و لكن دون كان مستمتع. فقد كانت ابنته رائعة و بالفعل مافيو سوبالمعنى القديم هي الغنيمية بأي شكل من الأشكال. و بالرغم من ذلك رفضت التحدث إلى والدها لأسابيع بعد ذلك و حبست نفسها في غرفتها. و لكن دون لم يخشى عليها أنها سوف تكون مكسورة القلب للأبد. و الذي جعله مستمتعاً أكثر هو رؤية أستور واقفاً في فخ جميع المراهقين الناضجين و بالتأكيد أن أستور أحب نيكلو و بالتأكيد أن شغفها و تفانيها له جعله يشعر و كأنه أهم شخص على وجه الأرض و أن أي شاب يمكن أن يغيره مثل هذا الأهتمام. بالتأكيد أن دون فهم أن أستور يريد حجة لكي يكون خالياً من أي عائق في مسيرته نحو أمجاد الحياة ثم ابتسم دون. يمتلك الصبي مقدرات طبيعية و حقيقية و قد حان الوقت لتعليمه الحقيقي.

الآن و بعد ثلاث سنوات من التقاعد شعر دون رايموند أبريل بأمن و رضا الذي اختار الخيارات الصحيحة في الحياة. و بالفعل شعر دون بالأطمئنان الشديد و بدأ ينشأ علاقة أوثق مع أبناءه و تمتع أخيراً بثمار الأبوة إلى حد ما.

بسبب قضاء فاليريوس معظم العشرين عاماً الماضية في وظائف الجيش الأجنبي و عدم قربه من والده، و في ذلك الوقت كان يعمل موظف في ويست بوينت و بعد ذلك بدأ الرجلان يتقابلان مع بعضهما في كثير من الأحيان و أصبحا يتحدثان بصراحة أكثر و الذي لازال صعب.

كان دون مختلفاً مع ابنه الثاني ماركانتونيو فقد حظي بنوع من العلاقة معه. أوضح ماركانتونيو عمله في التلفاز و حماسه للعمل الدرامي و واجبه تجاه مشاهديه و رغبته في جعل العالم مكان أفضل. كانت حياة هؤلاء الناس مثل الحكايات الخيالية بالنسبة للدون و كان مفتوناً بهم.

يمكن أن يتشاجر ماركانتونيو و والده خلال العشاء بطريقة ودية للترفيه عن الآخرين و مرة أخبر دون ماركانتونيو وقال: لم أرى ناس طبيين جداً أو اشرار جداً مثل شخصياتك في تلك الدراما.

قال ماركانتونيو: ذلك ما يصدقه جمهورنا و هو ما علينا تقديمه لهم.

في إحدى جلسات العائلة حاول فاليريوس شرح الأسباب المنطقية للحرب في الخليج الفارسي، بالإضافة إلى حماية المصالح الاقتصادية الهامة و حقوق الإنسان و أيضاً مكافأة تقييم شبكة تلفزيون ماركانتونيو. و لكن دون اعتبار أن كل هذه النزاعات هي تنقيحات في السلطة التي لاتهمه وأكتفى فقط بهز كتفيه.

قال دون لفاليريوس: أخبرني كيف تفوز الدول بالحروب حقاً؟

فكر فاليريوس في ذلك ثم قال: هنالك جيشٌ مدرب وجنرالاتٌ اذكيا و هنالك معارك كبيرة ونصر وهزيمة. وعندما عملت في الإستخبارات و قمت بتحليل كل شيء يأتي إلي هذا البلد الذي ينتج معظم الفولاذ ويفوز في الحروب ببساطة.

نكس دون رأسه وإقتنع أخيراً.

كانت علاقة دون مع نيكول قوية جداً وحماسية وكان فخوراً بإنجازاتها وجمالها الطبيعي وطبيعتها العاطفية وذكائها ومصداقيتها وصغر سنها فقد كان عمرها إثنين وثلاثين عاماً فقط وكانت قوية جداً ومحامية ناجحة ولها روابط سياسية قوية ولا تخاف من أي شخص في منظومة تمثل قوة هائلة.

كان مكتب المحاماة الخاص بها مدين للغاية، وهنا قام الدون بمساعدتها سراً ولكن أخوتها كانوا قلقين عليها وذلك لسببين أولهما أنها غير متزوجة والأخر أنها قامت بالكثير من الإتفاقات القائمة على العمل المجاني. وعلى الرغم من إعجاب الدون بها لكنه لا يستطيع التعامل معها بجدية فهي بعد كل شيء إمرأه و يقلق عليها من الرجال.

خلال العشاء يتجادل الأب والإبنة باستمرار مثل قطتان كبيرتان يمزحان بشكل خطير وأحياناً يعضان بعضهما إلى أن تسيل الدماء. ولقد كان لديهم خلاف خطير وهو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يؤثر على قابلية دون المستمرة وهي أن نيكول تؤمن بقدسية الحياة البشرية وتعتبر عقوبة الإعدام أنها عمل بغيض ولذلك نظمت وقادت حملة مكافحة عقوبة الإعدام.

سألها الدون: لماذا؟

في كل مرة تصبح نيكول غاضبة وذلك لإعتقادها أن عقوبة الإعدام سوف تقوم بتدمير البشر في نهاية المطاف وإذا تم التقاضي عن القتل تحت أي ظرف من الظروف لأنه يمكن أن يكون مسوغ لظروف أخرى ومعتقدات أخرى. وأخيراً فإنه

لن يعمل على تقييم الحضارة. فقد كانت واثقة أن ذلك سوف يوقعها في خلاف مستمر مع شقيقها فاليريوس بعد كل شيء ماذا فعل الجيش أيضاً؟

ولكنها لم تهتم للأسباب لأن القتل هو القتل وسوف يعيدنا جميعاً إلى أكل لحوم البشر أو ماهو أسوأ. ولقد ناضلت نيكول في المحاكم وفي جميع أنحاء البلاد من أجل إنقاذ القتلة المدانين. وعلى الرغم من أن دون يعتبر أن هذا هراء مطلق فلقد قدم لها نخب على عشاء العائلة بعد فوزها في القضية المجانية والمشهورة التي حصلت فيها على تخفيض عقوبة الإعدام لأحد المجرمين المشهور بسوء السمعة في ذلك العقد، وهو الرجل الذي قتل أفضل صديق له وضاجع زوجة صديقه التي جعلها أرملة حديثاً. وأثناء هروبه أعدم إثنين من الحاضرين في محطة البنزين بينما كان يسرقهم. وقام بإغتصاب وقتل فتاة تبلغ من العمر عشرة أعوام، وإنتهت حياته المهنية فقط عندما حاول قتل إثنين من رجال الشرطة في سيارتهم. وقد فازت نيكول بالقضية بحجة المرض النفسي وعلى ضمان أن يقضى بقية حياته في مؤسسة للمجرمين والمختلين عقلياً من دون أمل في الإفراج عنه.

كان العشاء العائلي الذي يلي القضية إحتفالاً لتكريم نيكول لفوزها بقضية أخرى وكان هذا وقتها المميز وفي المحكمة الأخيرة عن مبدأ صعب في القانون وتعرضت لخطر شخصي كبير حيث أتهمت من قبل نقابة المحامين بتهمة الممارسات غير الأخلاقية ومع ذلك برئت منها. وكانت مندفعه في ذلك الوقت.

كان الدون في مزاج جيد حيث أظهر إهتماماً غير معهود بهذه القضية وهنا ابنته على نيلها البراءة ولكنه كان مرتبكاً قليلاً أو متظاهر بذلك حسب الظرف ولكن نيكول فسرت له ذلك.

دافعت نيكول عن رجل يبلغ من العمر ثلاثين عاماً وإغتصب وضاجع الذكور وقتل فتاة تبلغ من العمر إثني عشر عاماً وأخفى جسدها في مكان سري بحيث لايمكن العثور عليها من قبل الشرطة ولكن الأدلة الحالية ضده قوية ولكن الجزء الأساسي من الأدلة كان مفقوداً ولذلك كان القاضى وهيئة المحلفين مترددين في الحكم عليه بعقوبة الإعدام ولقد عانى والدا الضحية من إحباطهم لرغبتهم في العثور على الجثة.

إعترف القاتل لنيكول لأنها محاميته بالمكان الذي دفن فيه الجثة وأذن لها بالتفاوض مقابل إتفاق وهو أن يقوم بكشف مكان وجود الجثة مقابل عقوبة السجن المؤبد بدلاً من الإعدام وبذلك بدأت نيكول المفاوضات مع المدعي العلم ولكنها واجهت تهديداً بالمقاضاة هي نفسها إن لم تكشف فوراً عن مكان وجود الجثة ولكنها تؤمن أن الأهم

للمجتمع هو حماية الثقة بين المحامي والوكيل لذلك رفضت، حينها صرح قاضي مشهور إنها على حق.

أخيراً وافق المدعى العام بعد تشاوره مع والدي الضحية على الإتفاق.

أخبرهم القاتل أنه قام بتقطيع الجسد ووضعها في صندوق بالجليد ثم دفنها في مستنقعات قريبة من نيو جيرسي. وهكذا تم العثور على الجثة وحكم على القاتل بالسجن المؤبد ولكن نقابة المحامين قدمت اتهامات بالتفاوض غير الأخلاقي و مع ذلك فازت اليوم ببراءتها.

قدم دون نخب لجميع ابناءه ثم سأل نيكول: هل تصرفتي بشرف في كل هذا؟

فقدت نيكول حيويتها و قالت: أن أصل المسألة أنه لا يمكن السماح للحكومة بانتهاك امتيازات محامي الوكيل على أي حال و مهما كانت الخطورة أو أنها لن تبقيني مقدسة.

سألها دون: أولم تشعري بشيء تجاه والدي الضحية؟

قالت نيكول: بالطبع انزعجت و لكن كيف لي أن أترك هذا يؤثر على مبدأ أساسي من مبادئ القانون؟ فقد عانيت حقاً من ذلك، و لما لا؟ لكن لسوء الحظ لا بد من تقديم بعض التضحيات من أجل مستقبل القانون.

قال دون: و مع ذلك وضعتك نقابة المحامين في محاكمة.

قالت نيكول: لقد كانت خطوة سياسية للحفاظ على المظهر، و الناس العاديين و غير المتعلمين في تعقيدات النظام القانوني لا يمكنهم تقبل هذه المبادئ من القانون، و قد كان هناك ضجة. حتى محاكمتي نشرت كل شيء و كان على بعض القضاة أن يعلنوا و يوضحوا أن لديهم الحق بموجب القانون على رفض تقديم تلك المعلومات.

قال دون بحماس: برفو! القانون مليء بالمفاجآت دائماً و لكن بالطبع للمحامين فقط.

عرفت نيكول أنه يسخر منها و قالت بحدة: لا يمكن إيجاد حضارة من دون مجموعة من القوانين.

قال دون و كأنه يحاول تهدئة ابنته: و لكن ليس من الأنصاف أن ينجو رجل بحياته و قد ارتكب مثل تلك الجريمة المرعبة.

قالت نيكول: هذا صحيح و لكن نظامنا القانوني يقوم على التفاوض و بالفعل أن كل مجرم يحصل على عقوبة أقل مما يستحق و لكن هذه هي الطريقة المثلى، لأن

التسامح يشفي، و على المدى الطويل سوف يتم إعادة تأهيل أولئك الذين يرتكبون جرائم ضد مجتمعنا بسهولة أكبر.

لذلك قدم دون نخبه بسخرية لطيفة.

قال لنيكول: لكن أخبرني، هل سبق لك و أعتقدت أن الرجل بريئ بسبب جنونه؟ و بعد كل شيء يمارس حياته بحرية.

نظر فاليريوس لنيكول ببرود و بعيون فاحصة فقد كان رجل طويل القامة يبلغ من العمر أربعين عاماً و له شارب قصير و خشن و شعر تحول كله إلى اللون الأبيض. و بصفته ضابط في المخابرات اتخذ بنفسه قرارات تراقب الأخلاق الإنسانية و قد كان مركزاً على طريقة تفكيرها.

فهم ماركانتونيو شقيقته و أنها تطمح لحياة طبيعية إلى حد ما بعيداً عن خزي حياة والدهم. و كان قلقاً عليها كثيراً من أن تقول شيء متهور بحيث لا يمكن لوالدها مسامحتها عليه ابداً.

أما بالنسبة لأستور فقد كان مبهوراً بنيكول و بتوهج عيناها و بطاقتها التي لا تصدق التي ردت بها على إستفزاز والدها. و تذكر حبهم عندما كانا مراهقين و شعر بتعلقها الواضح به و لكنه الآن لم يعد كما كان حينما كانا عاشقين و كان ذلك واضحاً. و تساءل عما إذا كا إخوتها يعلمون بتلك العلاقة الغرامية منذ فترة طويلة و كان قلقاً جداً من أن يؤدي ذلك الخلاف إلى قطع روابط العائلة فهي العائلة التي يحبها و هي ملجئه الوحيد. و تمنى ألا تسترسل نيكول في الحديث كثيراً و لكن لم يكن لديه تعاطف مع وجهات نظرها. فقد علمته سنواته في صقلية بطريقة مختلفة و لكن ما أثار دهشته أكثر هو إختلاف أكثر شخصين أهتم بهما و خطر على باله أنه حتى لو كانت على حق لا يمكنه ابداً الوقوف لجانب نيكول ضد والدها.

نظرت نيكول بجرأة إلى عيني والدها و قالت: لا، أعتقد أن لديه حرية الإرادة و لكن أجبرته ظروف حياته خلال فهمه الخاطئي و موروثه الجيني و كيميائه الحيوية و جهله بالطب إذن فهو فاقد العقل و لذلك بالطبع أصدق ذلك.

فكر دون ملياً ثم قال: أخبريني، إذا أترف لكي بأن كل هذه الأعذار كانت كاذبة، هل سوف تستمري في محاولة إنقاذ حياته؟

قالت نيكول: نعم، لأن حياة كل فرد مقدسة و لا يحق للدولة سلبها.

ابتسم لها دون بسخرية و قال: هذه هي دمانك الإيطالية، هل تعلمي لماذا لم يكن في إيطاليا الحديثة عقوبة الأعدام؟ و كل هذه الأرواح البشرية حفظت. حينها أجفل أبناءه و أستور عن سخريته و لكن نيكول لم ترتبك.

قالت له بصرامة: من الوحشية للدولة أن تنتستر تحت عباءة العدالة لكي ترتكب جريمة قتل مع سبق الأصرار. و أعتقد أنكم جميعاً توافقون على ذلك و اعتبر ذلك تحدياً و إشارة إلى سمعته. ضحكت نيكول ثم قالت بواقعية أكثر: لدينا بديل و هو وضع المجرم في مؤسسة أو سجن لمدى الحياة دون أمل الأفراج عنه و بذلك لن يعد يشكل خطراً على المجتمع.

نظر إليه دون بهدوء و قال: هنالك شيء واحد في هذا الوقت و هو أنني أؤيد الدولة التي تسلب حياة البشر و أعرفي لمدى حياتك أن الأفراج المشروط أو إطلاق الصراح مجرد مزحة فأن عشرين عاماً تمضي و أدلة جديدة من المفترض أن يتم العثور عليها أو فرض إعادة التأهيل و على المجرم أن يجعل من نفسه شخص جديد و لذلك فإن الناس يتدفقون عطفاً الآن و يطلق صارح الرجل و لكن لا أحد يهتم بالموتى هذا غير مهماً حقاً.

قالت نيكول بعبوس: أبي، لم أقصد أن الضحية غير مهمة و لكن سلب الحياة لن يعيد حياة الضحية مرة أخرى، و كلما تغاضينا عن القتل تحت أي ظرف من الظروف لفترة طويلة كلما استمر ذلك.

هنا توقف دون و شرب نبيذه و تطلع حول الطاولة على ابنيه و أستور بعد ذلك أستدار على ابنته و تحدث معها بشدة غير مسبوقه و قال: أسمح لي أن أقول لك الحقيقة، أتقولين أن حياة البشر مقدسة؟ و أن الحروب قتلت الملايين و مع ذلك تؤيدها جميع الحكومات و الأديان، و بمرور الوقت تسجل الآلاف من مذابح الأعداء على نزاع سياسي و على المصالح الاقتصادية، فكم عدد المرات التي كسبت فيها المال بناءً على قدسية الحياة؟ و أنت نفسك تتغاضين عن سلب حياة البشر عندما يصير موكلك بعيداً.

# CHAPTER 1



1995

WHEN THE STURZO twins, Franky and Stace, pulled into Heskow's driveway, they saw four very tall teenagers playing basketball on the small house court. Franky and Stace got out of their big Buick, and John Heskow came out to meet them. He was a tall, pear-shaped man; his thin hair neatly ringed the bare top of his skull, and his small blue eyes twinkled. "Great timing," he said. "There's someone I want you to meet."

The basketball game halted. Heskow said proudly, "This is my son, Jocko." The tallest of the teenagers stuck out his huge hand to Franky.

"Hey," Franky said. "How about giving us a little game?"

Jocko looked at the two visitors. They were about six feet tall and seemed in good shape. They both wore Ralph Lauren polo shirts, one red and the other green, with khaki trousers and rubber-soled shoes. They were amiable-looking, handsome men, their craggy features set with a graceful confidence. They were obviously brothers, but Jocko could not know they were twins. He figured them to be in their early forties.



"Sure," Jocko said, with boyish good nature.

Stace grinned. "Great! We just drove three thousand miles and have to loosen up."

Jocko motioned to his companions, all well over six feet, and said, "I'll take them on my side against you three." Since he was the much better player, he thought this would give his father's friends a chance.

"Take it easy on them," John Heskow said to the kids. "They're just old guys futzing around."

It was midafternoon in December, and the air was chilly enough to spur the blood. The cold Long Island sunlight, pale yellow, glinted off the glass roofs and walls of Heskow's flower sheds, his front business.

Jocko's young buddies were mellow and played to accommodate the older men. But suddenly Franky and Stace were whizzing past them for layup shots. Jocko stood amazed at their speed; then they were refusing to shoot and passing him the ball. They never took an outside shot. It seemed a point of honor that they had to swing free for an easy layup.

The opposing team started to use their height to pass around the older men but astonishingly enough got few rebounds. Finally, one of the boys lost his temper and gave Franky a hard elbow in the face. Suddenly the boy was on the ground. Jocko, watching everything, didn't know exactly how it happened. But then Stace hit his brother in the head with the ball and said, "Come on. Play, you shit-head." Franky helped the boy to his feet, patted him on the ass, and said, "Hey, I'm sorry." They played

for about five minutes more, but by then the older men were obviously tuckered out and the kids ran circles around them. Finally, they quit.

Heskow brought sodas to them on the court, and the teenagers clustered around Franky, who had charisma and had shown pro skills on the court. Franky hugged the boy he had knocked down. Then, he flashed them a man-of-the-world grin, which set pleasantly on his angular face.

“Let me give you guys some advice from an old guy,” he said. “Never dribble when you can pass. Never quit when you’re twenty points down in the last quarter. And never go out with a woman who owns more than one cat.”

The boys all laughed.

Franky and Stace shook hands with the kids and thanked them for the game, then followed Heskow inside the pretty green-trimmed house. Jocko called after them, “Hey, you guys are good!”

Inside the house, John Heskow led the two brothers upstairs to their room. It had a very heavy door with a good lock, the brothers noticed as Heskow let them in and locked the door behind them.

The room was big, a suite really, with an attached bathroom. It had two single beds—Heskow knew the brothers liked to sleep in the same room. In a corner was a huge trunk banded with steel straps and a heavy metal padlock. Heskow used a key to unlock the trunk and then flung the lid open. Exposed to view were several handguns, automatic weapons, and munitions boxes, in an array of black geometric shapes.

“Will that do?” Heskow asked.

Franky said, "No silencers."

"You won't need silencers for this job."

"Good," Stace said. "I hate silencers. I can never hit anything with a silencer."

"OK," Heskow said. "You guys take a shower and settle in, and I'll get rid of the kids and cook supper. What did you think of my kid?"

"A very nice boy," Franky said.

"And how do you like the way he plays basketball?" Heskow said with a flush of pride that made him look even more like a ripened pear.

"Exceptional," Franky said.

"Stace, what do you think?" Heskow asked.

"Very exceptional," said Stace.

"He has a scholarship to Villanova," Heskow said. "NBA all the way."

When the twins came down to the living room a little while later, Heskow was waiting. He had prepared sautéed veal with mushrooms and a huge green salad. There was red wine on the table.

The three of them sat down. They were old friends and knew each other's history. Heskow had been divorced for thirteen years. His ex-wife and Jocko lived a couple of miles west in Babylon. But Jocko spent a lot of time here, and Heskow had been a constant and doting father.

"You were supposed to arrive tomorrow morning," Heskow said. "I would have put the kid off if I knew you were coming today. By the time you phoned, I couldn't throw him and his friends out."

"That's OK," Franky said. "What the hell."

"You guys were good out there with the kids,"

Heskow said. "You ever wonder if you could have made it in the pros?"

"Nah," Stace said. "We're too short, only six feet. The eggplants were too big for us."

"Don't say things like that in front of the kid," Heskow said, horror-stricken. "He has to play with them."

"Oh, no," Stace said. "I would never do that."

Heskow relaxed and sipped his wine. He always liked working with the Sturzo brothers. They were both so genial—they never got nasty like most of the scum he had to deal with. They had an ease in the world that reflected the ease between them. They were secure, and it gave them a pleasant glow.

The three of them ate slowly, casually. Heskow refilled their plates direct from the frying pan.

"I always meant to ask," Franky said to Heskow. "Why did you change your name?"

"That was a long time ago," Heskow said. "I wasn't ashamed of being Italian. But you know, I look so fucking German. With blond hair and blue eyes and this nose. It looked really fishy, my having an Italian name."

The twins both laughed, an easy, understanding laugh. They knew he was full of shit, but they didn't mind.

When they finished their salad, Heskow served double espresso and a plate of Italian pastries. He offered cigars but they refused. They stuck to their Marlboros, which suited their rugged western faces.

"Time to get down to business," Stace said. "This must be a big one, or why did we have to

drive three thousand fucking miles? We could have flown.”

“It wasn’t so bad,” Franky said. “I enjoyed it. We saw America, firsthand. We had a good time. The people in the small towns were great.”

“Exceptional,” Stace said. “But still, it was a long ride.”

“I didn’t want to leave any traces at the airports,” Heskow said. “That’s the first place they check. And there will be a lot of heat. You boys don’t mind heat?”

“Mother’s milk to me,” Stace said. “Now, who the fuck is it?”

“Don Raymonde Aprile.” Heskow nearly choked on his espresso saying it.

There was a long silence, and then for the first time Heskow caught the chill of death the twins could radiate.

Franky said quietly, “You made us drive three thousand miles to offer us this job?”

Stace smiled at Heskow and said, “John, it’s been nice knowing you. Now just pay our kill fee and we’ll be moving on.” Both twins laughed at this little joke, but Heskow didn’t get it.

One of Franky’s friends in L.A., a freelance writer, had once explained to the twins that though a magazine might pay him expenses to do an article, they would not necessarily buy it. They would just pay a small percentage of the agreed-upon fee to kill the piece. The twins had adopted that practice. They charged just to listen to a proposition. In this case, because of the travel time

and there were two of them involved, the kill fee was twenty thousand.

But it was Heskow's job to convince them to take the assignment. "The Don has been retired for three years," he said. "All his old connections are in jail. He has no power anymore. The only one who could make trouble is Timmona Portella, and he won't. Your payoff is a million bucks, half when you're done and the other half in a year. But for that year, you have to lay low. Now everything is set up. All you guys have to be is the shooters."

"A million bucks," Stace said. "That's a lot of money."

"My client knows it's a big step to hit Don Aprile," Heskow said. "He wants the best help. Cool shooters and silent partners with mature heads. And you guys are simply the best."

Franky said, "And there are not many guys who would take the risk."

"Yeah," Stace said. "You have to live with it the rest of your life. Somebody coming after you, plus the cops, and the feds."

"I swear to you," Heskow said, "the NYPD won't go all out. The FBI will not take a hand."

"And the Don's old friends?" Stace asked.

"The dead have no friends." Heskow paused for a moment. "When the Don retired, he cut all ties. There's nothing to worry about."

Franky said to Stace, "Isn't it funny, in all our deals, they always tell us there's nothing to worry about?"

Stace laughed. "That's because they're not the shooters. John, you're an old friend. We trust you."

But what if you're wrong? Anybody can be wrong. What if the Don still has old friends? You know how he operates. No mercy. We get nailed, we don't just get killed. We'll spend a couple of hours in hell first. Plus our families are at stake under the Don's rule. That means your son. Can't play for the NBA in his grave. Maybe we should know who's paying for this."

Heskow leaned toward them, his light skin a scarlet red as if he were blushing. "I can't tell you that. You know that. I'm just the broker. And I've thought of all that other shit. You think I'm fucking stupid? Who doesn't know who the Don is? But he's defenseless. I have assurances of that from the top levels. The police will just go through the motions. The FBI can't afford to investigate. And the top Mafia heads won't interfere. It's foolproof."

"I never dreamed that Don Aprile would be one of my marks," Franky said. The deed appealed to his ego. To kill a man so dreaded and respected in his world.

"Franky, this is not a basketball game," Stace warned. "If we lose, we don't shake hands and walk off the court."

"Stace, it's a million bucks," Franky said. "And John never steered us wrong. Let's go with it."

Stace felt their excitement building. What the hell. He and Franky could take care of themselves. After all, there was the million bucks. If the truth were told, Stace was more mercenary than Franky, more business-oriented, and the million swung him.

"OK," Stace said, "we're in. But God have mercy

on our souls if you're wrong." He had once been an altar boy.

"What about the Don being watched by the FBI?" Franky asked. "Do we have to worry about that?"

"No," Heskow said. "When all his old friends went to jail, the Don retired like a gentleman. The FBI appreciated that. They leave him alone. I guarantee it. Now let me lay it out."

It took him a half hour to explain the plan in detail.

Finally Stace said, "When?"

"Sunday morning," Heskow said. "You stay here for the first two days. Afterward the private jet flies you out of Newark."

"We have to have a very good driver," Stace said. "Exceptional."

"I'm driving," Heskow said, then added, almost apologetically, "It's a very big payday."

For the rest of the weekend, Heskow baby-sat for the Sturzo brothers, cooking their meals, running their errands. He was not a man easily impressed, but the Sturzos sometimes sent a chill to his heart. They were like adders, their heads constantly alert, yet they were congenial and even helped him tend to the flowers in his sheds.

The brothers played basketball one-on-one just before supper, and Heskow watched fascinated by how their bodies slithered around each other like snakes. Franky was faster and a deadly shooter. Stace was not as good but more clever. Franky could have made it to the NBA, Heskow thought.



But this was not a basketball game. In a real crisis, it would have to be Stace. Stace would be the primary shooter.

## CHAPTER 2



**T**HE GREAT 1990S FBI blitz of the Mafia families in New York left only two survivors. Don Raymonde Aprile, the greatest and most feared, remained untouched. The other, Don Timmona Portella, who was nearly his equal in power but a far inferior man, escaped by what seemed to be pure luck.

But the future was clear. With the 1970 RICO laws so undemocratically framed, the zeal of special FBI investigating teams, and the death of the belief in omerta among the soldiers of the American Mafia, Don Raymonde Aprile knew it was time for him to retire gracefully from the stage.

The Don had ruled his Family for thirty years and was now a legend. Brought up in Sicily, he had none of the false ideas or strutting arrogance of the American-born Mafia chiefs. He was, in fact, a throwback to the old Sicilians of the nineteenth century who ruled towns and villages with their personal charisma, their sense of honor, and their deadly and final judgment of any suspected enemy. He also proved to have the strategic genius of those old heroes.

Now, at sixty-two, he had his life in order. He had disposed of his enemies and accomplished his duties as a friend and a father. He could enjoy old age with a clear conscience, retire from the disharmonies of his world, and move into the more fitting role of gentleman banker and pillar of society.

His three children were safely ensconced in successful and honorable careers. His oldest son, Valerius, was now thirty-seven, married with children, and a colonel in the United States Army and lecturer at West Point. His career had been determined by his timidity as a child; the Don had secured a cadet appointment at West Point to rectify this defect in his character.

His second son, Marcantonio, at the early age of thirty-five, was, out of some mystery in the variation of his genes, a top executive at a national TV network. As a boy he had been moody and lived in a make-believe world and the Don thought he would be a failure in any serious enterprise. But now his name was often in the papers as some sort of creative visionary, which pleased the Don but did not convince him. After all, he was the boy's father. Who knew him better?

His daughter, Nicole, had been affectionately called Nikki as a young child but at the age of six demanded imperiously that she be called by her proper name. She was his favorite sparring partner. At the age of twenty-nine, she was a corporate lawyer, a feminist, and a pro bono advocate of those poor and desperate criminals who otherwise could not afford an adequate legal defense. She was especially good at saving murderers from the

electric chair, husband killers from prison confinement, and repeat rapists from being given life terms. She was absolutely opposed to the death penalty, believed in the rehabilitation of any criminal, and was a severe critic of the economic structure of the United States. She believed a country as rich as America should not be so indifferent to the poor, no matter what their faults. Despite all this she was a very skilled and tough negotiator in corporate law, a striking and forceful woman. The Don agreed with her on nothing.

As for Astorre, he was part of the family, and closest to the Don as a titular nephew. But he seemed like a brother to the others because of his intense vitality and charm. From the age of three to sixteen he had been their intimate, the beloved youngest sibling—until his exile to Sicily eleven years before.

The Don planned his retirement carefully. He distributed his empire to placate potential enemies but also rendered tribute to loyal friends, knowing that gratitude is the least lasting of virtues and that gifts must always be replenished. He was especially careful to pacify Timmona Portella. Portella was dangerous because of his eccentricity and a passionate murderousness that sometimes had no relationship to necessity.

How Portella escaped the FBI blitz of the 1990s was a mystery to everyone. For he was an American-born don without subtlety, a man incautious and intemperate, with an explosive temper. He had a huge body with an enormous paunch and dressed

like a Palermo *picciotto*, a young apprentice killer, all colors and silk. His power was based in the distribution of illegal drugs. He had never married and still at age fifty was a careless womanizer. He only showed true affection for his younger brother, Bruno, who seemed slightly retarded but shared his older brother's brutality.

Don Aprile had never trusted Portella and rarely did business with him. The man was dangerous through his weakness, a man to be neutralized. So now he summoned Timmona Portella for a meeting.

Portella arrived with his brother, Bruno. Aprile met them with his usual quiet courtesy but came to the point quickly.

"My dear Timmona," he said. "I am retiring from all business affairs except my banks. Now you will be very much in the public eye and you must be careful. If you should ever need any advice, call on me. For I will not be completely without resources in my retirement."

Bruno, a small replica of his brother who was awed by the Don's reputation, smiled with pleasure at this respect for his older brother. But Timmona understood the Don far better. He knew that he was being warned.

He nodded respectfully to the Don. "You have always showed the best judgment of us all," he said. "And I respect what you are doing. Count on me as your friend."

"Very good, very good," the Don said. "Now, as a gift to you, I ask you to heed this warning. This FBI man, Cilke, is very devious. Do not trust

him in any way. He is drunk with his success, and you will be his next target.”

“But you and I have already escaped him,” Timmona said. “Though he brought all our friends down. I don’t fear him but I thank you.”

They had a celebratory drink, and the Portella brothers left. In the car Bruno said, “What a great man.”

“Yes,” Timmona said. “He was a great man.”

As for the Don, he was well satisfied. He had seen the alarm in Timmona’s eyes and was assured there would no longer be any danger from him.

Don Aprile requested a private meeting with Kurt Cilke, the head of the FBI in New York City. Cilke, to the Don’s own surprise, was a man he admired. He had sent most of the East Coast Mafia chiefs to jail and almost broken their power.

Don Raymonde Aprile had eluded him, for the Don knew the identity of Cilke’s secret informer, the one who made his success possible. But the Don admired Cilke even more because the man always played fair, had never tried frame-ups or power-play harassments, had never given publicity pin marks on the Don’s children. So the Don felt it was only fair to warn him.

The meeting was at the Don’s country estate in Montauk. Cilke would have to come alone, a violation of the Bureau rules. The FBI director himself had given approval but insisted Cilke use a special recording device. This was an implant in his body, below his rib cage, which would not show on the

outer walls of his torso; the device was not known to the public, and its manufacture was strictly controlled. Cilke realized that the real purpose of the wire was to record what he said to the Don.

They met on a golden October afternoon on the Don's verandah. Cilke had never been able to penetrate this house with a listening device, and a judge had barred constant physical surveillance. This day he was not searched in any way by the Don's men, which surprised him. Obviously Don Raymonde Aprile was not going to make him an illicit proposal.

As always, Cilke was amazed and even disturbed by the impression that the Don made on him. Despite knowing that the man had ordered a hundred murders, broken countless laws of society, Cilke could not hate him. And yet he believed such men evil, hated them for how they destroyed the fabric of civilization.

Don Aprile was clad in a dark suit, dark tie, and white shirt. His expression was grave and yet understanding, the lines in his face the gentle ones of a virtue-loving man. How could such a humane face belong to someone so merciless, Cilke wondered.

The Don did not offer to shake hands out of a sensibility not to embarrass Cilke. He gestured for his guest to be seated and bowed his head in greeting.

"I have decided to place myself and my family under your protection—that is, the protection of society," he said.

Cilke was astonished. What the hell did the old man mean?

“For the last twenty years you have made yourself my enemy. You have pursued me. But I was always grateful for your sense of fair play. You never tried to plant evidence or encourage perjury against me. You have put most of my friends in prison, and you tried very hard to do the same to me.”

Cilke smiled. “I’m still trying,” he said.

The Don nodded in appreciation. “I have rid myself of everything doubtful except a few banks, surely a respectable business. I have placed myself under the protection of your society. In return I will do my duty to that society. You can make it much easier if you do not pursue me. For there is no longer any need.”

Cilke shrugged. “The Bureau decides. I’ve been after you for so long, why stop now? I might get lucky.”

The Don’s face became graver and even more tired. “I have something to exchange with you. Your enormous success of the past few years influenced my decision. But the thing is, I know your prize informant, I know who he is. And I have told no one.”

Cilke hesitated for only seconds before he said impassively, “I have no such informant. And again, the Bureau decides, not me. So you’ve wasted my time.”

“No, no,” the Don said. “I’m not seeking an advantage, just an accommodation. Allow me, because of my age, to tell you what I have learned. Do not exercise power because it is easy to your



hand. And do not get carried away with a certainty of victory when your intellect tells you there is even a hint of tragedy. Let me say I regard you now as a friend, not an enemy, and think to yourself what you have to gain or lose by refusing this offer."

"And if you are truly retired, then of what use is your friendship?" Cilke said, smiling.

"You will have my goodwill," the Don said. "That is worth something even from the smallest of men."

Later Cilke played the tape for Bill Boxtton, his deputy, who asked, "What the hell was that all about?"

"That's the stuff you have to learn," Cilke told him. "He was telling me that he's not completely defenseless, that he was keeping an eye on me."

"What bullshit," Boxtton said. "They can't touch a federal agent."

"That's true," Cilke said. "That's why I kept after him, retired or not. Still, I'm wary. We can't be absolutely sure . . ."

Having studied the history of the most prestigious families in America, those robber barons who had ruthlessly built their fortunes while breaking the laws and ethics of human society, Don Aprile became, like them, a benefactor to all. Like them, he had his empire—he owned ten private banks in the world's largest cities. So he gave generously to build a hospital for the poor. And he contributed

to the arts. He established a chair at Columbia University for the study of the Renaissance.

It was true that Yale and Harvard refused his twenty million dollars for a dormitory to be named for Christopher Columbus, who was at the time in disrepute in intellectual circles. Yale did offer to take the money and name the dorm after Sacco and Vanzetti, but the Don was not interested in Sacco and Vanzetti. He despised martyrs.

A lesser man would have felt insulted and nursed a grievance, but not Raymonde Aprile. Instead, he simply gave the money to the Catholic Church for daily masses to be sung for his wife, now twenty-five years in Heaven.

He donated a million dollars to the New York Police Benevolent Association and another million to a society for the protection of illegal immigrants. For the three years after his retirement, he showered his blessings on the world. His purse was open to any request except for one. He refused Nicole's pleas to contribute to the Campaign Against the Death Penalty—her crusade to stop capital punishment.

It is astonishing how three years of good deeds and generosity can almost wipe out a thirty-year reputation of merciless acts. But great men also buy their own goodwill, self-forgetfulness and forgiveness of betraying friends and exercising lethal judgment. And the Don too had this universal weakness.

For Don Raymonde Aprile was a man who had lived by the strict rules of his own particular morality. His protocol had made him respected for

over thirty years and generated the extraordinary fear that had been the base of his power. A chief tenet of that protocol was a complete lack of mercy.

This sprang not from innate cruelty, some psychopathic desire to inflict pain, but from an absolute conviction: that men always refused to obey. Even Lucifer, the angel, had defied God and had been flung from the heavens.

So an ambitious man struggling for power had no other recourse. Of course there were some persuasions, some concessions to another man's self-interest. That was only reasonable. But if all that failed, there was only the punishment of death. Never threats of other forms of punishment that might inspire retaliation. Simply a banishment from this earthly sphere, no more to be reckoned with.

Treachery was the greatest injury. The traitor's family would suffer, as would his circle of friends; his whole world would be destroyed. For there are many brave, proud men willing to gamble their lives for their own gain, but they would think twice about risking their loved ones. And so in this way Don Aprile generated a vast amount of terror. He relied on his generosity in worldly goods to win their less necessary love.

But it must be said, he was as merciless to himself. Possessed of enormous power, he could not prevent the death of his young wife after she had given him three children. She died a slow and horrible death from cancer as he watched over her for six months. During that time he came to believe that she was being punished for all the mortal sins

he had committed, and so it was that he decreed his own penance: He would never remarry. He would send his children away to be educated in the ways of lawful society, so they would not grow up in his world so full of hate and danger. He would help them find their way, but they would never be involved in his activities. With great sadness he resolved that he would never know the true essence of fatherhood.

So the Don arranged to have Nicole, Valerius, and Marcantonio sent to private boarding schools. He never let them into his personal life. They came home for the holidays, when he played the role of a caring but distant father, but they never became part of his world.

And yet despite everything and though they were aware of his reputation, his children loved him. They never talked about it among themselves. It was one of those family secrets that was not a secret.

No one could call the Don sentimental. He had very few personal friends, no pets, and he avoided holiday and social gatherings as much as possible. Only once, many years before, he had committed an act of compassion that astounded his colleagues in America.

Don Aprile, when he returned from Sicily with the child, Astorre, found his beloved wife dying of cancer and his own three children desolate. Not wanting to keep the impressionable infant in such a circumstance for fear it would harm him in some way, the Don decided to place him in the care of

one of his closest advisors, a man named Frank Viola, and his wife. This proved to be an unwise choice. At the time, Frank Viola had ambitions to succeed the Don.

But shortly after the Don's wife died, Astorre Viola, at the age of three, became a member of the Don's personal family when his "father" committed suicide in the trunk of his car, a curious circumstance, and his mother died of a brain hemorrhage. It was then that the Don had taken Astorre into his household and assumed the title of uncle.

When Astorre was old enough to begin asking about his parents, Don Raymonde told him that he had been orphaned. But Astorre was a curious and tenacious young boy, so the Don, to put an end to all his questions, told him that his parents had been peasants, unable to feed him, and had died, unknown, in a small Sicilian village. The Don knew this explanation didn't completely satisfy the boy, and he felt a twinge of guilt over deceiving him, but he knew it was important while the child was still young to keep his Mafia roots a secret—for Astorre's own safety and for the safety of the Aprile children.

Don Raymonde was a farseeing man and knew that his success could not last forever—it was too treacherous a world. From the beginning he planned to switch sides, to join the safety of organized society. Not that he was truly conscious of his purpose, but great men have an instinct for what the future will demand. And in this case,

truly, he acted out of compassion. For Astorre Viola, at the age of three, could have made no impression, could have given no hint of what he would later become as a man. Or how important a part he would play in the Family.

The Don understood that the glory of America was the emergence of great families, and that the best social class sprang from men who had at first committed great crimes against that society. It was such men who in the search for fortune had also built America and left evil deeds to crumble into forgotten dust. How else could it be done? Leave the Great Plains of America to those Indians who could not conceive of a three-story dwelling? Leave California to Mexicans who had no technical ability, no vision of great aqueducts to feed water to lands that would allow millions to enjoy a prosperous life? America had the genius to attract millions of laboring poor from all over the world, to entice them to the necessary hard work of building the railroads, the dams, and the sky-scratching buildings. Ah, the Statue of Liberty had been a stroke of promotional genius. And had it not turned out for the best? Certainly there had been tragedies, but that was part of life. Was not America the greatest cornucopia the world had ever known? Was not a measure of injustice a small price to pay? It has always been the case that individuals must sacrifice to further the advance of civilization and their particular society.

But there is another definition of a great man. Primarily that he does not accept that burden. In some way, criminal, immoral, or by sheer cunning,

he will ride the crest of that wave of human progress without sacrifice.

Don Raymonde Aprile was such a man. He generated his own individual power by his intelligence and by his complete lack of mercy. He generated fear; he became a legend. But his children, when they were grown, never believed in the most atrocious stories.

There was the legend of the beginning of his rule as Family chief. The Don controlled a construction company run by a subordinate, Tommy Liotti, whom the Don had made rich at an early age with city building contracts. The man was handsome, witty, a thorough charmer, and the Don always enjoyed his company. He had only one fault: He drank to excess.

Tommy married the Don's wife's best friend, Liza, an old-fashioned handsome woman with a sharp tongue, who felt it her duty to curb her husband's obvious pleasure with himself. This led to some unfortunate incidents. He accepted her barbs well enough when he was sober, but when drunk he would slap her face hard enough to make her bite her tongue.

It was also unfortunate that the husband had a massive strength, due to working hard and long on construction sites during his youth. Indeed, he always wore short-sleeved shirts to display his magnificent forearms and his great biceps.

Sadly, the incidents escalated over a period of two years. One night Tommy broke Liza's nose and knocked out a few teeth, which required expensive surgical repair. The woman did not dare

ask Don Aprile's wife for protection, since such a request would probably make her a widow, and she still loved her husband.

It was not Don Aprile's desire to interfere in the domestic squabbles of his underlings. Such things could never be solved. If the husband had killed the wife, he would not have been concerned. But the beatings posed a danger to his business relationship. An enraged wife could make certain testimonies, give damaging information. For the husband kept large quantities of cash in his house for those incidental bribes so necessary to the fulfillment of city contracts.

So Don Aprile summoned the husband. With the utmost courtesy, he made it plain he interfered in the man's personal life only because it affected business. He advised the man to kill his wife outright or divorce her or never to ill-treat her further. The husband assured him it would never happen again. But the Don was mistrustful. He had noticed that certain gleam in the man's eyes, the gleam of free will. He considered this one of the great mysteries of life, that a man will do what he feels like doing with no regard to the cost. Great men have allied themselves with the angels at a terrible price to themselves. Evil men indulge their slightest whim for small satisfactions while accepting the fate of burning in Hell.

And so it turned out with Tommy Liotti. It took nearly a year, and Liza's tongue grew sharper with her husband's indulgence. Despite the warning from the Don, despite his love for his children and



his wife, Tommy beat her in the most violent fashion. She ended up in the hospital with broken ribs and a punctured lung.

With his wealth and political connections, Tommy bought one of the Don's corrupt judges with an enormous bribe. Then he talked his wife into coming back to him.

Don Aprile observed this with some anger and regretfully took charge of the affair. First, he attended to the practical aspects of the matter. He obtained a copy of the husband's will and learned that like a good family man, he had left all his worldly goods to his wife and children. She would be a rich widow. Then he sent out a special team with specific instructions. Within the week the judge received a long box wrapped in ribbons, and in it, like a pair of expensive long silk gloves, were the two massive forearms of the husband, one wearing on its wrist the expensive Rolex watch the Don had given him years before as a token of his esteem. The next day the rest of the body was found floating in the water around the Verrazano Bridge.

Another legend was chilling because of its ambiguity, like some childish ghost story. While the Don's three children were attending boarding school, an enterprising and talented journalist noted for his witty exposure of the frailties of famous people tracked them down and enticed them into what seemed like harmless verbal exchange. The writer had great fun with their innocence, their preppy clothes, their juvenile idealism about how to make a better world. The journalist con-

trasted it with their father's reputation while admitting that Don Aprile had never actually been convicted of a crime.

The piece became famous, circulated in newsrooms throughout the country even before publication. It was the kind of success a writer dreams about. Everybody loved it.

The journalist was a nature lover, and every year he took his wife and two children to a cabin in upstate New York for hunting and fishing and living simply. They were there one long Thanksgiving weekend. On Saturday the cabin, ten miles from the nearest town, caught fire. There was no rescue for about two hours. By then the house had burned to smoking logs and the journalist and his family were merely charred and brittle sticks. There was an enormous outcry and a massive investigation, but no evidence of foul play could be found. The conclusion was that the family had been overcome by smoke before they could escape.

Then a curious thing happened. A few months after the tragedy, whispers and rumors began to circulate. Anonymous tips came in to the FBI, the police, the press. They all suggested that the fire was an act of vengeance by the infamous Don Aprile. The press, hot for a story, clamored for the case to be reopened. It was, but again there was no indictment. Yet, despite any proof, this became another legend of the Don's ferocity.

But that was the general public; the authorities were satisfied, in this instance, that the Don was beyond reproach. Everybody knew journalists were exempt from any retaliation. You would have

to kill thousands, so what was the point? The Don was too intelligent to take such a risk. Still, the legend never died. Some FBI teams even thought the Don himself had inspired the rumors to fulfill his legend. And so it grew.

But there was another side to the Don: his generosity. If you served him loyally, you became rich and had a formidable protector in times of travail. The rewards given by the Don were enormous but the punishments final. That was his legend.

After his meetings with Portella and Cilke, Don Aprile had details to tidy up. He set in motion the machinery to bring Astorre Viola back home after his eleven-year exile.

He needed Astorre, indeed had prepared him for this moment. Astorre was the Don's favorite, even above his own children. As a child Astorre was always a leader, precocious in his sociability. He loved the Don, and he did not fear him as his own children sometimes did. And though Valerius and Marcantonio were twenty and eighteen years old, when Astorre was ten, he established his independence from them. Indeed, when Valerius, somewhat of a military martinet, tried to chastise him, he fought back. Marcantonio was much more affectionate to him and bought him his first banjo to encourage his singing. Astorre accepted this as the courtesy of one adult to another.

The only one Astorre took orders from was Nicole. And though she was two years older, she treated him as a suitor, as he demanded even as a small boy. She made him run her errands and lis-

tened soulfully to the Italian ballads he sang her. And she slapped his face when he tried to kiss her. For even as a small boy, Astorre was enraptured by feminine beauty.

And Nicole was beautiful. She had large dark eyes and a sensual smile; her face revealed every emotion she felt. She challenged anyone who tried to insinuate that as a female she was not as important as any man in her world. She hated the fact that she was not as physically strong as her brothers and Astorre, that she could not assert her will by force but only by her beauty. All this made her absolutely fearless, and she taunted them all, even her father, despite his dread reputation.

After his wife's death, when the children were still young, Don Aprile made it a practice to spend one summer month in Sicily. He loved the life in his native village, near the town of Montelepre, and he still owned property there, a house that had been the country retreat of a count, called Villa Grazia.

After a few years he hired a housekeeper, a Sicilian widow named Caterina. She was a very handsome woman, strong with a rich peasant beauty and a keen sense of how to run a property and command respect from the villagers. She became his mistress. All of this he kept secret from his family and friends, though now he was a man of forty and a king in his world.

Astorre Viola was only ten years old the first time he accompanied Don Raymonde Aprile to Sicily. The Don had been requested to mediate a great conflict between the Corleonesi *cosca* and

the Clericuzio *cosca*. And it was also his pleasure to spend a quiet month of tranquillity at Villa Grazia.

Astorre, at ten, was affable—there was no other word. He was always cheerful, and his handsome round face with its olive skin radiated love. He continually sang in a sweet tenor voice. And when he was not singing, he offered lively conversation. Yet he had the fiery qualities of a born rebel, and he terrorized the other boys his age.

The Don brought him to Sicily because he was the best of company for a middle-aged man, which was a curious commentary on both, as well as a reflection on how the Don had brought up his own three children.

Once the Don settled his business affairs, he mediated the dispute and brought about temporary peace. Now he enjoyed his days reliving his childhood in his native village. He ate lemons, oranges, and olives from their briny barrels, and he took long walks with Astorre under the sullen deadly light of the Sicilian sun that reflected all the stone houses and countless rocks with a stunning heat. He told the small boy long-ago stories of the Robin Hoods of Sicily, their fights against the Moors, the French, the Spaniards, the pope himself. And tales of a local hero, the Great Don Zeno.

At night, together on the terrace of the Villa Grazia, they watched the azure sky of Sicily lit with a thousand shooting stars and the flashes of lightning hurling through the mountains just a short distance away. Astorre picked up the Sicilian

dialect immediately and ate the black olives from the barrel as if they were bits of candy.

In just a few days Astorre established his leadership in a gang of young village boys. It was a wonder to the Don that he could do so, for Sicilian children were full of pride and feared no one. Many of these ten-year-old cherubs were already familiar with the *lupara*, the ever-present Sicilian shotgun.

Don Aprile, Astorre, and Caterina spent long summer nights eating and drinking *alfresco* in the luxuriant garden, the orange and lemon trees saturating the air with their citrus perfume. Sometimes old boyhood friends of the Don were invited to dinner and a game of cards. Astorre helped Caterina serve them drinks.

Caterina and the Don never showed public signs of affection, but all was understood in the village, so no man dared to present any gallantries to Caterina and all showed her the respect the female head of the house was due. No time in his life was more pleasant to the Don.

It was just three days before the end of the visit that the unimaginable happened: The Don was kidnapped while walking the streets of the village.

In the neighboring province of Cinesi, one of the most remote and undeveloped in Sicily, the head of the village *cosca*, the local Mafioso, was a ferocious, fearless bandit by the name of Fissolini. Absolute in his local power, he really had no communication with the rest of the Mafia *coscas* on the island. He knew nothing of Don Aprile's

enormous power, nor did he think it could penetrate his own remote and secure world. He decided to kidnap the Don and hold him for ransom. The only rule he knew he was breaking was that he was encroaching onto the territory of the neighboring *cosca*, but the American seemed a rich enough prize to warrant the risk.

The *cosca* is the basic unit of what is called the Mafia and is usually composed of blood relatives. Law-abiding citizens such as lawyers or doctors attach themselves to a *cosca* for protection of their interests. Each *cosca* is an organization in and of itself but may ally itself to a stronger and more powerful one. It is this interlinking that is commonly called the Mafia. But there is no overall chief or commander.

A *cosca* usually majors in a particular racket in its particular territory. There is the *cosca* that controls the price of water and prevents the central government from building dams to lower the price. In that way it destroys the government's monopoly. Another *cosca* will control the food and produce markets. The most powerful ones in Sicily at this time were the Clericuzio *cosca* of Palermo, which controlled the new construction in all of Sicily, and the Corleonesi *cosca* of Corleone, which controlled the politicians in Rome and engineered the transportation of drugs all over the world. Then there were the piddling *coscas* who demanded tribute from romantic youths to sing to the balconies of their beloveds. All *coscas* regulated crime. They would not tolerate lazy good-for-nothings burglarizing innocent citizens who

paid their *cosca* dues. Those who stabbed for wallets or raped women were summarily punished by death. Also, there was no tolerance of adultery within the *coscas*. Both men and women were executed. That was understood.

Fissolini's *cosca* made a poor living. It controlled the sale of holy icons, was paid to protect a farmer's livestock, and organized the kidnapping of careless wealthy men.

And so it was that Don Aprile and little Astorre, strolling along the streets of their village, were picked up in two vintage American army trucks by the ignorant Fissolini and his band of men.

The ten men in peasant clothes were armed with rifles. They plucked Don Aprile off the ground and threw him into the first truck. Astorre, without hesitation, jumped into the open bed of the truck to stay with the Don. The bandits tried to throw him out, but he clung to the wooden posts. The trucks traveled an hour to the base of the mountains around Montelepre. Then everyone switched to horseback and donkey and climbed the rocky terraces toward the horizon. Throughout the trip, the boy observed everything with large green eyes but never spoke a word.

Near sunset, they reached a cave set deep in the mountains. There they were fed a supper of grilled lamb and homemade bread and wine. On the campsite was a huge statue of the Virgin Mary enclosed in a hand-carved dark wooden shrine. Fissolini was devout in spite of his ferocity. He also had a natural peasant courtesy and presented himself to the Don and the boy. There was no doubt



he was chief of the band. He was short and built powerfully as a gorilla, and he carried a rifle and two guns on his body belt. His face was as stony as Sicily, but there was a merry twinkle in his eyes. He enjoyed life and its little jokes, especially that he held in his power a rich American worth his weight in gold. And yet there was no malice in him.

"Excellency," he said to the Don, "I don't want you to worry about this young lad. He will carry the ransom note to town tomorrow morning."

Astorre was eating lustily. He had never tasted anything so delicious as this grilled lamb. But he finally spoke up with cheerful bravery. "I'm staying with my Uncle Raymonde," he said.

Fissolini laughed. "Good food gives courage. To show my respect for His Excellency I prepared this meal myself. I used my mother's special spices."

"I'm staying with my uncle," Astorre said, and his voice rang out clear, defiant.

Don Aprile said to Fissolini sternly yet kindly, "It's been a wonderful night—the food, the mountain air, your company. I look forward to the fresh dew in the country. But then I advise you to bring me back to my village."

Fissolini bowed to him respectfully. "I know that you are rich. But are you that powerful? I am only going to ask for one hundred thousand dollars in American money."

"That insults me," the Don said. "You will injure my reputation. Double it. And another fifty for the boy. It will be paid. But then your life will be an eternal misery." He paused for a moment. "I'm astonished you could be so rash."

Fissolini sighed. "You must understand, Excellency, I am a poor man. Certainly I can take what I want in my province, but Sicily is such a cursed country that the rich are too poor to support men like myself. You must understand that you are the chance to make my fortune."

"Then you should have come to me to offer your services," the Don said. "I always have use for a talented man."

"You say that now because you are weak and helpless," Fissolini said. "The weak are always so generous. But I will follow your advice and ask double. Though I feel a little guilty about that. No human is worth so much. And I will let the boy go free. I have a weakness for children—I have four of my own whose mouths I must feed."

Don Aprile looked at Astorre. "Will you go?"

"No," Astorre said, lowering his head. "I want to be with you." He raised his eyes and looked at his uncle.

"Then let him stay," the Don said to the bandit.

Fissolini shook his head. "He goes back. I have a reputation to keep. I will not be known as a kidnapper of children. Because after all, Your Excellency, though I have the utmost respect, I will have to send you back piece by piece if they do not pay. But if they do, I give you the word of honor of Pietro Fissolini, not a hair of your mustache will be touched."

"The money will be paid," the Don said calmly. "And now let us make the best of things. Nephew, sing one of your songs for these gentlemen."

Astorre sang to the bandits, who were enchanted

and complimented him, ruffling his hair affectionately. Indeed it was a magical moment for all of them, the child's sweet voice filling the mountains with songs of love.

Blankets and sleeping bags were brought out of a nearby cave.

Fissolini said, "Your Excellency, what would you like for breakfast tomorrow? Some fish, fresh from the water perhaps? Then some spaghetti and veal for lunch? We are at your service."

"I thank you," the Don said. "A bit of cheese and fruit will be enough."

"Sleep well," Fissolini said. He was softened by the boy's look of unhappiness, and he patted Astorre on the head. "Tomorrow you will rest in your own bed."

Astorre closed his eyes to fall asleep immediately on the ground next to the Don. "Stay beside me," the Don said, as he reached his arms around the boy.

Astorre slept so soundly that the rising cindered sun was over his head when a clatter awoke him. He rose and saw that the hollow was filled with fifty armed men. Don Aprile, gentle, calm, and dignified, was sitting on a great ledge of stone, sipping from a mug of coffee.

Don Aprile saw Astorre and beckoned to him. "Astorre, do you want some coffee?" He pointed a finger at the man before him. "This is my good friend, Bianco. He has rescued us."

Astorre saw a huge man who, though he was well encased in fat, wore a suit and tie, and seemed to be unarmed, was far more frightening than Fis-

solini. He had a curly head of white hair and large pink eyes, and he radiated power. But he seemed to blanket that power when he spoke with a soft, gravelly voice.

Octavius Bianco said, "Don Aprile, I must apologize for being so late and that you had to sleep like a peasant on the ground. But I came as soon as I got the news. I always knew Fissolini was a dunce, but I never expected him to do this."

There began the sound of hammering, and some men moved out of Astorre's vision. He saw two young boys, nailing together a cross. Then, lying on the far side of the hollow, he saw Fissolini and his ten bandits trussed on the ground and tethered to trees. They were encased by a web of wire and rope, their limbs entwined. They looked like a mound of flies on a lump of meat.

Bianco asked, "Don Aprile, which of these scum do you wish to judge first?"

"Fissolini," the Don said. "He is the leader."

Bianco dragged Fissolini before the Don; he was still tightly bound, like a mummy. Bianco and one of his soldiers lifted him and forced him to stand. Then Bianco said, "Fissolini, how could you be so stupid? Didn't you know the Don was under my protection or I would have kidnapped him myself? Did you think you were just borrowing a flask of oil? Some vinegar? Have I ever entered your province? But you were always headstrong, and I knew you would come to grief. Well, since like Jesus you must hang from the cross, make your apologies to Don Aprile and his little boy. And I will give you

mercy and shoot you before we hammer in the nails."

"So," the Don said to Fissolini. "Explain your disrespect."

Fissolini stood upright and proud. "But the disrespect was not for your person, Excellency. I did not know how important and dear you were to my friends. That fool, Bianco, might have kept me fully informed. Excellency, I have made a mistake and I must pay." He stopped for a moment and then shouted angrily and scornfully at Bianco, "Stop those men from hammering those nails. I'm going deaf. And you can't scare me to death before you kill me!"

Fissolini paused again and said to the Don, "Punish me, but spare my men. They followed my orders. They have families. You will destroy an entire village if you kill them."

"They are responsible men," Don Aprile said sarcastically. "I would insult them if they did not share your fate."

At this moment Astorre, even in his child's mind, realized that they were talking life and death. He whispered, "Uncle, don't hurt him." The Don made no sign of having heard.

"Go on," he said to Fissolini.

Fissolini gave him a questioning look, at once proud and wary. "I will not beg for my life. But those ten men lying there are all in my blood family. If you kill them, you destroy their wives and their children. Three of them are my sons-in-law. They had absolute faith in me. They trusted my judgment. If you let them go, I would make

them swear their undying loyalty to you before I die. And they will obey me. That is something, to have ten loyal friends. That is not nothing. I am told you are a great man, but you cannot be truly great if you do not show mercy. You shouldn't make a habit of it, of course, but just this once." He smiled at Astorre.

For Don Raymonde Aprile this was a familiar moment, and he was in no doubt as to his decision. He had always distrusted the power of gratitude, and he believed that no one could direct the influence of free will in any man, except by death. He regarded Fissolini impassively and shook his head. Bianco moved forward.

Astorre strode to his uncle and looked him square in the eyes. He had understood everything. He put out his hand to protect Fissolini.

"He didn't hurt us," Astorre said. "He just wanted our money."

The Don smiled and said, "And that's nothing?"

Astorre said, "But it was a good reason. He wanted the money to feed his family. And I like him. Please, Uncle."

The Don smiled at him and said, "Bravo." Then he remained silent for a long time, ignoring Astorre tugging at his hand. And for the first time in many years the Don felt the urge to show mercy.

Bianco's men had lit up small cigars, very strong, and the smoke wafted through the dawn air carried on the mountain breezes. One of the men came forward and from his hunting jacket took out a fresh cigar and offered it to the Don. With a child's clarity, Astorre understood this was not

only a courtesy but a demonstration of respect. The Don took the cigar, and the man lit it for him within cupped hands.

The Don puffed his cigar slowly and deliberately, then said, "I will not insult you by showing you mercy. But I will offer you a business arrangement. I recognize you had no malice and you showed the utmost regard for my person and the boy. So this is the arrangement. You live. Your comrades live. But for the rest of your lives, you will be at my command."

Astorre felt an enormous relief, and he smiled at Fissolini. He watched Fissolini kneel to the ground and kiss the Don's hand. Astorre noticed that the surrounding armed men puffed furiously on their cigars, and even Bianco, grand as a mountain, trembled with pleasure.

Fissolini murmured, "Bless you, Your Excellency."

The Don put his cigar down on a nearby rock. "I accept your blessing, but you must understand. Bianco came to save me, and you are expected to do the same duty. I pay him a sum of money, and I will do the same for you every year. But one act of disloyalty and you and your world will be destroyed. You, your wife, your children, your nephews, your sons-in-law will cease to exist."

Fissolini rose from his knees. He embraced the Don and burst into tears.

And so it was that the Don and his nephew became most formally united. The Don loved the boy for persuading him to show mercy, and Astorre loved his uncle for giving him the lives of Fis-

solini and his ten men. It was a bond that lasted the rest of their lives.

The last night in Villa Grazia, Don Aprile had espresso in the garden and Astorre ate olives from their barrel. Astorre was very pensive, not his usual sociable self.

“Are you sorry to leave Sicily?” the Don asked.

“I wish I could live here,” Astorre said. He put the pits of his olives in his pocket.

“Well, we will come every summer together,” the Don said.

Astorre looked at him like a wise old friend, his youthful face troubled.

“Is Caterina your girlfriend?” he asked.

The Don laughed. “She is my good friend,” he said.

Astorre thought about this. “Do my cousins know about her?”

“No, my children do not know.” Again the Don was amused by the boy and wondered what would come next.

Astorre was very grave now. “Do my cousins know you have such powerful friends like Bianco who will do anything you tell them they must do?”

“No,” the Don said.

“I won’t tell them about anything,” Astorre said. “Not even about the kidnapping.”

The Don felt a surge of pride. Omerta had been bred into his genes.

Late that night, alone, Astorre went to the far corner of the garden and dug a hole with his bare



hands. In that hole he put the olive pits he had secreted in his pocket. He looked up at the pale night blue of the Sicilian sky and dreamed of himself as an old man like his uncle, sitting in this garden on a similar night, watching his olive trees grow.

After that, everything was fate, the Don believed. He and Astorre made the yearly trip to Sicily until Astorre was sixteen. In the back of the Don's mind, a vision was forming, a vague outline of the boy's destiny.

It was his daughter who created the crisis that moved Astorre into that destiny. At the age of eighteen, two years older than Astorre, Nicole fell in love with him and with her fiery temperament did little to conceal the fact. She completely overwhelmed the susceptible boy. They became intimate with all the hot furiousness of youth.

The Don could not allow this, but he was a general who adjusted his tactics to the terrain. He never gave any hint he knew of the affair.

One night he called Astorre into his den and told him he would be sent to England for his schooling and to serve an apprenticeship in banking with a certain Mr. Pryor of London. He did not give any further reason, knowing the boy would realize he was being sent away to end the affair. But he had not reckoned with his daughter, who had listened outside the door. She came storming into the room, her passionate outrage making her even more beautiful.

"You're not sending him away," she screamed at her father. "We'll run away together."

The Don smiled at her and said placatingly, "You both have to finish school."

Nicole turned to Astorre, who was blushing with embarrassment. "Astorre, you won't go?" she said. "Will you?"

Astorre did not answer, and Nicole burst into tears.

It would be hard for any father not to be moved by such a scene, but the Don was amused. His daughter was splendid, truly Mafioso in the old sense, a prize in any form. Despite that, for weeks afterward she refused to speak to her father and locked herself away in her room. But the Don did not fear she would be brokenhearted forever.

It amused him even more to see Astorre in the trap of all maturing adolescents. Certainly Astorre loved Nicole. And certainly her passion and her devotion made him feel like the most important person on earth. Any young man can be seduced by such attention. But just as certainly, the Don understood that Astorre wanted an excuse to be free of any encumbrance on his march to the glories of life. The Don smiled. The boy had all the right instincts, and it was time for his real schooling.

So now, three years after his retirement, Don Raymonde Aprile felt the security and satisfaction of a man who has made the right choices in life. Indeed the Don felt so secure that he began to develop a closer relationship with his children, finally enjoying the fruits of fatherhood—to some degree.

Because Valerius had spent most of the last twenty years in foreign army posts, he had never been close to his father. Now that he was stationed at West Point, the two men saw each other more often and began to speak more openly. Yet it was difficult.

With Marcantonio, it was different. The Don and his second son enjoyed some kind of rapport. Marcantonio explained his work in TV, his excitement over the dramatic process, his duty to his viewers, his desire to make the world a better place. The lives of such people were like fairy tales to the Don. He was fascinated by them.

Over family dinners, Marcantonio and his father could quarrel in a friendly way for the entertainment of the others. Once the Don told Marcantonio, "I have never seen people so good or so evil as your characters in those dramas."

Marcantonio said, "That is what our audience believes. We have to give it to them."

At one family gathering, Valerius had tried to explain the rationale for the war in the Persian Gulf, which in addition to protecting important economic interests and human rights had also been a ratings bonanza for Marcantonio's TV network. But to all of this the Don just shrugged. These conflicts were refinements in power that did not interest him.

"Tell me," he said to Valerius. "How do nations really win wars? What is the deciding factor?"

Valerius considered this. "There is the trained army, brilliant generals. There are the great battles, some lost, some won. When I worked in intelli-

gence, and we analyzed everything, it comes to this: The country that produces the most steel wins the war, simply that.”

The Don nodded, finally satisfied.

His warmest and most intense relationship was with Nicole. He was proud of her accomplishments, her physical beauty, her passionate nature, and her intelligence. And, true, young as she was, just thirty-two, she was a powerful up-and-coming lawyer with good political connections, and she had no fear of anyone in a suit who represented entrenched power.

Here the Don had helped her secretly; her law firm was deeply indebted to him. But her brothers were wary of her for two reasons: she was unmarried, and she did a great deal of pro bono work. Despite his admiration for her, the Don could never take Nicole seriously in the world. She was, after all, a woman. And one with troubling taste in men.

At family dinners the father and daughter argued constantly, like two great cats frolicking dangerously, occasionally drawing blood. They had one serious bone of contention, the only thing that could affect the Don's constant affability. Nicole believed in the sacredness of human life, that capital punishment was an abomination. She had organized and led the Campaign Against the Death Penalty.

“Why?” the Don asked.

And Nicole would become infuriated all over again. Because she believed capital punishment would eventually destroy humanity. That if killing

was condoned under any circumstances, then it could be justified by another set of circumstances, another set of beliefs. Eventually, it would not serve evolution or civilization. And believing that brought her into constant conflict with her brother Valerius. After all, what else did the army do? The reasons didn't matter to her. Killing was killing and would set us all back to cannibalism or worse. At every opportunity, Nicole fought in courts all over the country to save condemned murderers. Although the Don considered this the sheerest nonsense, he nonetheless proposed a toast to her at a family dinner following her victory in a famous pro bono case. She had secured commutation of the death sentence of one of the decade's most notorious criminals, a man who had killed his best friend and sodomized the newly made widow. In his getaway, he had executed two gas station attendants while he robbed them. He had gone on to rape and murder a ten-year-old girl. His career was brought to a close only when he attempted to kill two policemen in their cruiser. Nicole had won the case on grounds of insanity, and on the assurance that he would live the rest of his life in an institution for the criminally insane without the hope of release.

The next family dinner was a celebration to honor Nicole for winning another case—this time her own. In a recent trial she had championed a difficult principle of law at great personal risk. And she had been brought before the Bar Association for unethical practice and had been acquitted. Now she was exuberant.

The Don, in a cheerful mood, showed an uncharacteristic interest in this case. He congratulated his daughter on the acquittal but was somewhat confused, or pretended to be, by the circumstances. Nicole had to explain it to him.

She had defended a man, thirty years of age, who had raped, sodomized, and killed a twelve-year-old girl, then secretly hidden her body so that it could not be found by the police. Circumstantial evidence against him had been strong, but without a *corpus*, the jury and judge would be reluctant to give him the death penalty. The parents of the victim were in anguish in their frustrated desire to find the body.

The murderer confided to Nicole, as his attorney, where the body was buried and authorized her to negotiate a deal—he would reveal the body's whereabouts in exchange for a life sentence rather than execution. However, when Nicole opened negotiations with the prosecutor, she was faced with a threat of prosecution herself if she did not immediately reveal the whereabouts of the body. She believed it mattered to society to protect the confidentiality between attorney and client. Therefore, she refused, and a prominent judge declared her in the right.

The prosecutor, after consulting with the parents of the victim, finally consented to the deal.

The murderer told them that he had dismembered the body, placed it in a box filled with ice, and buried it in a nearby marshland in New Jersey. And so the body was found and the murderer sentenced to life imprisonment. But then the Bar

Association brought her up on charges of unethical negotiation. And today she had won her acquittal.

The Don toasted to all of his children and then asked Nicole, "And you behaved honorably in all this?"

Nicole lost her exuberance. "It was the principle of the thing. The government cannot be allowed to breach the lawyer/client privilege in any one situation, no matter how grave, or it is no longer sacrosanct."

"And you felt nothing for the victim's mother and father?" the Don asked.

"Of course I did," Nicole said, annoyed. "But how could I let this affect a basic principle of the law? I suffered for that, I really did; why wouldn't I? But unfortunately, in order to set precedents for future law sacrifices have to be made."

"And yet the Bar Association put you on trial," the Don said.

"To save face," Nicole said. "It was a political move. Ordinary people, unschooled in the complexities of the legal system, can't accept these principles of law, and there was an uproar. So my trial diffused everything. Some very prominent judge had to go public and explain that I had the right under the Constitution to refuse to give that information."

"Bravo," the Don said jovially. "The law is always full of surprises. But only to lawyers, of course."

Nicole knew he was making fun of her. She said

sharply, "Without a body of law, no civilization can exist."

"That is true," the Don said as if to appease his daughter. "But it seems unfair that a man who commits a terrible crime escapes with his life."

"That's true," Nicole said. "But our system of law is based on plea bargaining. It is true that each criminal gets less punishment than he deserves. But in a way that's a good thing. Forgiveness heals. And in the long run, those who commit crimes against our society will be more easily rehabilitated."

So it was with a good-humored sarcasm that the Don proposed his toast. "But tell me," he said to Nicole. "Did you ever believe the man innocent by reason of his insanity? After all, he did exercise his free will."

Valerius looked at Nicole with cool, measuring eyes. He was a tall man, forty years of age with a bristly short mustache and hair already turning to steel gray. As an intelligence officer, he had himself made decisions that overlooked human morality. He was interested in her reasoning.

Marcantonio understood his sister, that she aspired to a normal life partly out of shame for their father's life. He was more worried that she would say something rash, something that her father could never forgive her for.

As for Astorre, he was dazzled by Nicole—her flashing eyes, the incredible energy with which she responded to her father's goading. He remembered their lovemaking as teenagers and felt her still obvious affection for him. But now he was transformed, no longer what he was when they were



lovers. That was understood. He wondered if her brothers knew about that long-ago affair. And he too worried that a quarrel would break the bonds of family, a family that he loved, that was his only refuge. He hoped Nicole would not go too far. But he had no sympathy for her views. His years in Sicily had taught him differently. But it amazed him that the two people he cared most about in the world could be so different. And it occurred to him that even if she were right, he could never side with Nicole against her father.

Nicole looked boldly into her father's eyes. "I don't believe he had free will," she said. "He was forced by the circumstances of his life—by his own distorted perceptions, his genetic heritage, his biochemistry, the ignorance of medicine—he was insane. So of course I believe it."

The Don pondered this for a moment. "Tell me," he said. "If he admitted to you all his excuses were false, would you still have tried to save his life?"

"Yes," Nicole said. "Each individual life is sacred. The state has no right to take it."

The Don smiled at her mockingly. "That's your Italian blood. Do you know that modern Italy has never had the death penalty? All those human lives saved." His sons and Astorre flinched at his sarcasm, but Nicole was unabashed.

She said to him sternly, "It is barbaric for the state under the mantle of justice to commit premeditated murder. I would think that you of all people would agree with that." It was a challenge, a reference to his reputation. Nicole laughed, then

said more soberly, "We have an alternative. The criminal is locked away in an institution or a prison for life without hope of release or parole. Then he is no longer a danger to society."

The Don looked at her coolly. "One thing at a time," he said. "I do approve of the state taking a human life. And as for your lifetime without parole or release, that's a joke. Twenty years pass and supposedly new evidence is found, or rehabilitation is assumed and the criminal has made a new person of himself, so now spills the milk of human kindness. The man goes free. But no one cares for the dead. That's not really important . . ."

Nicole frowned. "Dad, I didn't imply that the victim isn't important. But taking a life will not get the victim's life back. And the longer we condone killing, under any circumstances, the longer it will go on."

Here the Don paused and drank his wine as he looked around the table at his two sons and Astorre. "Let me tell you the reality," he said, and turned to his daughter. He spoke with an intensity rare for him. "You say human life is sacred? From what evidence? Where in history? The wars that have killed millions are endorsed by all governments and religions. The massacres of thousands of enemies in a political dispute, over economic interests, are recorded through time. How many times has the earning of money been placed above the sanctity of human life? And you yourself condone the taking of a human life when you get your client off." \* *Wahaa*

Nicole's dark eyes flashed. "I have not condoned